الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس المدية

كلية الآداب واللغات

قسم : لغة وأدب عربي

البعد الوجداني في ديوان الأمير عبد القادر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث و معاصر

إعداد الطالبتين:

إيمان جابر

رزيقة العربي

إشراف الأستاذ

محمد سرير

السنة الجامعية:2020/2019


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله ذو الفضل والمنة والصلاة والسلام على رسوله أكرم الخلق وهادي الأمة، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ولك الحمد والشكر بما أنعمت علينا من فضلك وهديتنا وعلمتنا وأنرت بصيرتنا ويسرت مسيرتنا حتى تمكنا من إتمام مذكرتنا بفضل منك وحولك وقوتك فلك الحمد ولك الشكر كله يارب.

كما نتوجه بالشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذنا الفاضل"**محمد سرير**"، حفظه الله والذي تفضل مشكورا بالإشراف على هذه المذكرة وما قدمه لنا من نصح وتوجيه وإرشاد، فقد شجعتنا على مضي قدما في دروب شائكة مما كان له الأثر في تدعيم دراستنا بخطة واثقة، فكان له اكبر الأثر في انجاز هذه المذكرة، وخروجها بهذا الشكل اللائق كما نتقدم بالشكر والعرفان لحاضنة العلم والعلماء جامعة الدكتور يحي فارس.

كما نوجه شكرنا للأساتذة المناقشين، لكم منا أجمل تحية وأعذب ثناء انتم يا من تحملون شعلة النجاح والتطور والى الأمام دائما.

كما يقول البحتري"إذا أنا لم اشكر لنعماك جاهدا فلا نلت نعمي توجب الشكر".

إهداء

احمد الله عز وجل على عونه في إتمام هذا البحث

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني حق الرعاية وكانت سندي في الشدائد، وكانت دعواها لي بالتوفيق تتبعني خطوة خطوة في عملي، إلى مدرستي الأولى في الحياة، إلى من ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها في وجهي نبع الحنان أمي اعز ملاك على القلب والعين جزاها الله عني خير الجزاء.

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم، أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره.

إلى أمي الثانية الغالية على قلبي التي كانت تدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى حفظها الرب ورعاها لي.

إليهما اهدي هذا العمل المتواضع لكي ادخل على قلبهما شيئا من السعادة، إلى إخوتي وأخواتي الذين تقاسموا معي عبء الحياة"حمزة، صلاح الدين، خلود، بشرى، عفاف، شيماء، خولة" .

إلى أخي العزيز عمر وزوجته وأولاده" احمد شريف، أمين، رتاج رهف".

إلى من تقاسمت معهم حلاوة ومرارة الأيام صديقاتي"فاطمة، مسعودة، ليلى، فاطمة الزهراء"

إلى الكتاكيت الذين بعثوا الأمان والبراءة" طارق، معتز بالله، انس".

إلي من شاركني في إعداد هذا البحث صديقتي" العربي رزيقة، إلى كل طلبة هذه الدفعة .

إلى كل من سعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

إيمان جابر

اهداء

الهي لا تطيب الحياة إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و اهدي هذا العمل المبارك إلى من احمل اسمه بكل افتخار، وارجوا من الله أن يمد في عمره ليرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماته نجوم اهتدي بها اليوم وغدا والى الأبد والدي الحبيب.

إلى القلب النابض بالحب والأمان والحنان، إلى من سيظل قلبي يخفق لها حبا، ويا من دعائها سر نجاحي حفظها الله وأطال في عمرها أمي الغالية.

إلى توأم روحي وصاحبتي التي رافقتني منذ الصغر وسرنا الدرب خطوة بخطوة ولا تزال في القلب، إلى روح أختي سميحة رحمها الله وطيب ثراها.

إلى من بهم يشتد ساعدي وتعلى هامتي إخوتي" ساعد، إبراهيم، مصطفى، محمد، إسماعيل".

إلى الوجه المفعم بالبراءة ولمحبتها أزهرت الأيام وتفتحت براعم الغد أختي الصغرى لبنى.

إلى صديقاتي في الإقامة الجامعية"لامية، نحاة، خديجة، مروى" إلى كل الأقارب والأهل ، إلى براعم العائلة" عبد البارئ، رتاج، حسام" ، إلى معلمي في الابتدائية ، أرسل لك وساما من النور بعدد نجوم السماء، يا من لك مكانة عظيمة في قلبي أود أن أقول لك شكرا، إلى كل من أشعل شمعة في دروب علمي، والى انسي طيلة المشوار الدراسي والتي قسمت معها هذا البحث"إيمان".

العربي رزيقة

مـــقدمـــــة

الحمد لله الذي زيّن كتابه العظيم الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على الحبيب الكريم وباسم الله وعلى سنة رسول الله الصادق الأمين :

نخص بالدراسة جانبا من جوانب الشعر عند الأمير عبد القادر الجزائري الى التعبير عن خلجات الإنسان النفسية فاخترت موضوع البعد الوجداني في شعر الأمير حيث يشمل هذا البعد الاتجاهات والميول والقيم والتذوق والتوافق وتتصل بدرجة قبول الفرد أو رفضه لشيء معين ولهذا البعد دور مهم في حياة الفرد والجماعة واثر كبير في الفكر وفي السلوك إذ يدفع نحو بعض المواقف ويمنع من بعض ويقرر بعض الأفكار ويحول دون بعضها بسبب هذين الأمرين" عن العاطفة والانفعال" وأثرها في الفكر والسلوك وقد تناولت هذا الموضوع دراسات عديدة كان من شأنها تغيير مجرى الموضوع والتطوير فيه إلى الأفضل في حين ما تزال العديد من المعلومات المتعلقة بالبعد الوجداني مجهولة بالرغم من أن هناك نظريات تبحث في آلية عمل البعد الوجداني إلا انه لابد من إجراء المزيد من الدراسات والبحوث بهدف تقديم الدعم الكافي لهذا الموضوع وإخراجه في أكمل صورة وقد تمحور بحثنا حول الإشكالية التالية: ماهو البعد الوجداني؟ وكيف تجلّى هذا الأخير في شعر الأمير عبد القادر الجزائري؟.

وفي هذه الدراسة تركيز على شخصيات كان لها صداها البعيد في عالم الشعر أبرزهم هذا الشاعر المسمى بعبد القادر الجزائري وقد حفزت اختيارنا لهذا الموضوع دوافع ذاتية وأخرى موضوعية:

فأما الدوافع الذاتية فترجع إلى إعجابنا الشديد بهذا النوع من المواضيع لأننا نجد فيها متعة ويعود ذلك إلى كوننا من نتذوقها وكذا إعجابنا بهذه الشخصية التي حيّرت جينيرالات فرنسا .

أردنا أن نبين ما تضمنه شعر الأمير عبد القادر من جماليات ومعان صادقة وعواطف جياشة تعبر عن الوجد.

أما الدوافع الموضوعية تمثلت في الوقوف على مواطن الجمال الوجداني بعيدا عن منهجية علوم البلاغة ونظرا لأهمية هذا الجانب في شعر الأمير عبد القادر وغموضه في الوقت نفسه بدا لنا أن نجعل منه موضوعا للبحث والى أي مدى وفق الشاعر في تصوير لواعجه.

وقد اطلعنا على مجموعة من المصادر والمراجع نظرا لاتساع دائرة الموضوع المطروح في البحث حيث عمدنا إلى الاستعانة بعدد منها لأننا رأينا فيها ما يستوجب الدراسة والبحث ومن هذه المراجع :

-الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا لفؤاد صالح السيد الذي درس شعر الأمير وتحليله لقصائده وشرحها

-الأمير عبد القادر رائد الشعر الحديث لبشير بويجرة والذي حاول إبراز شخص الأمير وإعطائه المكانة التي يستحقها في الشعر العربي الحديث .

– الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه لعبد الرزاق بن السبع والذي ركز على الأغراض الشعرية للأمير من غزل وفخر وتصوف مع إظهار فنياتها وخصائصها وكان لهذه الخطوة التي اتبعناها الأثر الكبير في سير البحث بطريقة حسنة تمكن من انجازه دون عناء

تليها الخطوة الثانية والتي تمثلت في: القراءة المتأنية والاستنباط من هذه المصادر والمراجع وكتابة كل ما يتعلق بالموضوع

أما الخطوة النهائية والأخيرة فقد كانت قراءة في شعر الأمير عبد القادر.

وقد سرنا وفق خطة تشكلت على النحو الآتي:

مقدمة: تناولنا فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره.

مدخل: تحدثنا فيه عن البعد الوجداني من حيث المفهوم والخصائص والمميزات، وترجمة الأمير.

أما **الفصل الأول:** فقد درسناه تطبيقيا وعنوناه **ب البعد الوجداني في "الغزل، الفخر، العلم والثقافة"**

تناولنا فيه ثلاث مباحث: الغزل، الفخر، العلم والثقافة.

أما الفصل الثاني والذي درسناه هو الأخر تطبيقيا نظرا لطبيعة الموضوع وقسمناه إلى ثلاث مباحث: حب الله، حب الأنبياء والصحابة الكرام ووحدة الوجود.

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي وذلك لمعرفة مواطن وجماليات البعد الوجداني في شعر الأمير وكان أيضا للمنهج الفني حظا طفيفا في هذه الدراسة

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا قلة المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع وكذا قلة خبرتنا في هذا الميدان وهفواتنا التي جعلتنا نتعثر في الكثير من المرات وما لا ننكره كلنا انعدام النقل والاتصال بالمكتبات نظرا للظروف المستعصية والتي مر بها العالم بسبب جائحة كورونا.

لنختتم بحثنا هذا بخاتمة جامعة لأهم النتائج التي توصلنا إليها وتعتبر قراءتنا هذه غير نهائية فهي تتطلب تطور أعمق غي هذا الموضوع وقد كان لأستاذنا المشرف يدا من نور حين أضفى على رسالتنا لمسته الخاصة والتي كان لها الأثر الكبير في مواصلة البحث بشكل حسن كما أرشدنا إلى كيفية التعامل مع هذا النوع من المواضيع الأدبية والصوفية من منطق المعرفة لا من منطق إملاء الرأي

وأخيرا لا يمكننا أن ننسى تقديم أسمى عبارات التقدير للمشرف الذي تكرم علينا بقبول الإشراف على هذا البحث المتواضع والذي لم يبخل علينا بإرشاداته المنهجية

ونتمنى أن نكون قد وفقنا في هذا البحث آملين أن يكون منطلقا لأبحاث أخرى.

مـدخـل

الاتجاه الوجداني:(المفهوم الاصطلاحي)

الشعر صورة الوجدان، ومرآة النفس، وترجمان الشعور،لا نعرف لغة أخرى غير العربية اشتق فيها لفظ الشعر من الشعر، فالشعر والشعور من طبيعة واحدة وان الشعر هو فيض الشعور، والقول إن الأدب انعكاس ذاتي لا يعني انه خبرة شخصية محدودة فحسب انه وان انبعث عن ذات الإنسان فهو لا يقف عندها بل يمتد إلى سائر الناس والأدب الرفيع هو ما اتسعت فيه شخصية الأديب حتى تصبح مشاعره إنسانية عامة.[1]

ونرى الشاعر الثوري مفدي زكرياء هو الأخر واحد من الشعراء تبنى في مفهومه للشعر موقفين لكن الغلبة عنده كانت للوجدان رغم تمسكه بالقافية، فقد تطرق في قصيدة(**رسالة الشعر في الدنيا مقدسة**) إلى مفهوم الشعر وعلاقته بالوزن والقافية.

تنكروا للقوافي حيث أعجزكم صوغ القوافي وضلوا عن ثناياها

قالوا جمود على الأوضاع وزنكم فشعرنا الحر لا يحتاج أوزانا[2]

وبالرغم من إقراره بان الوزن والقافية هما معيارا للشعر ولا رجعة في ذلك وان الخروج عنهما يعتبر تطاولا على القيم الجمالية والإيقاعية، إلا أن شعره الوطني يتميز بقوة العاطفة والروح

1/عمر دقاق، محمد نجيب التلاوي، تطور الشعر الحديث والمعاصر، دار الاوزاعي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص119.

2/محمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري من سنة 1925الى 1954، ص148.

والتي يعبر عنها الشاعر... بالإضافة إلى بروز شخصية الشاعر نفسه في الآراء الوطنية التي عبر عنها.[1]

وكذلك نجد رمضان حمود لم يقتصر في تعريفه للشعر على مفهوم واحد بل اخذ عدة تعريفات كل منها يحيط بجانب من جوانب خصائص الاتجاه الوجداني يقول:"الشعر تعبير عن رؤية وجدانية نابعة من تجربة الشاعر وتعبر عن إحساسه الصادق بغض النظر عن موضوع التجربة"[2]

ويقول أيضا: "الشعر وحي الضمير والهام الوجدان"، "الشعر موج متدفق يقذفه بحر النفس الطاهي" وكذلك يقول: "الشعر هو تلك الجاذبية الساحرة التي تجمع بين النخلة وزهرة الربيع الفاتحة أكمامها".[3]

وقد أكد أرائه هذه المبنية أساسا على الذات والوجدان وتجاوز الوزن والقافية ببيتين شعريين يقول فيهما:

" فقلت لهم لما تباهوا بقولهم إلا فاعلموا أن الشعور هو الشعر

وليس بتنميق وتزويق عارف فما الشعر، إلا ما يحن له الصدر"[4]

3/صالح خرفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985، ص149.

1/محمد شرفي الرفاعي، الشعر الجزائري، ص.151

2/ صالح خرفي، حمود رمضان، ص45.

3/ المرجع نفسه، ص.44

وقد قرّ في نفوس الكثيرين أن الاتجاه الوجداني يرتبط بموضوعات بعينها كالحب والطبيعة، وليست الطبيعة والحب بجديدين على الشعر العربي، لكن الجديد فيهما عند شعراء الحركة الوجدانية إنهما يمتزجان بوجدان الشاعر امتزاجا يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي"[1].

ومعنى ذلك أن تصوير مشهد ما في الطبيعة لا يكون شعرا إلا إذا انعكس هذا المشهد في نفس الشاعر وانفعل به و أثار فيه إحساسا بالرضي أو الإعجاب أو الانبهار وربما الألم والمرارة واليأس.

وبالتالي " فالشعر الوجداني أو الذاتي تعبير حي عن مشاكل الإنسان من حب وكره وذكرى وشوق ولهفة وحنين وسخط ورضى وحقد واسى وإعجاب وازدراء وباس وأمل.. وقوام ذلك كله هو الانفعال العاطفي وتوهج الذات وتوتر النفس، وقد يكون داخليا نابعا من داخل الإنسان كما قد يكون خارجا في غمار الحياة أو المجتمع أو الطبيعة".[2]ومعنى ذلك أن الشعر الوجداني في كل حال من الأحوال ينبغي أن يعبر به من خلال الانفعال بالموضوع والتفاعل معه.

4/عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، الناشر مكتبة الشباب، دط،1977، ص14.

1/عمر الدقاق، محمد نجيب التلاوي، تطور الشعر الحديث والمعاصر، ص119

خصائص ومميزات الشعر الوجداني:

" يتسم الشعر الوجداني بسمات فنية عرف بها من ميل إلى الصور الخيالية والتجسيم والألفاظ الشعرية المحملة بدلالات شعورية غير مقيدة بمعان مادية محدودة".[1]

ومعنى ذلك أن الدارسون يولون عناية هامة بموضوع الشعر الوجداني فيحللون ما يتضمنه من معان نفسية وأخلاقية ومواقف حضارية وغير ذلك ما يتصل بمضمون الشعر أكثر من اتصاله بصورته الفنية.

– إحساس الشاعر بذاته الفردية، وتعبيره عن تجاربه الخاصة، وتطلعاته وآماله في الحياة من حب، وحرية، وكرامة وتعبيره عن أحزانه، وغربته عن مجتمعه، وحيرته وقلقه، وتأمله فالحياة والكون.... الخ.

–"الخيال الشعري الجامح الذي يتغير به لون الحياة، فهو بمثابة قوة جوهرية لعملية الخلق الفني يمكن من خلالها بناء عالم مثالي جديد، وفيه توظف الصور الشعرية والرمزية لإخراج قصائد وجدانية رائعة .

–العودة إلى الطبيعة، حيث افتتن الشعراء الوجدانيون بالطبيعة ومزجوها بأنفسهم ووصفوها من خلال عاطفة مكذبة ممزقة إذ وجدوا فيها عوضا عن المجتمع المرفوض لديهم.

–تعبير الشاعر عن قضاياه الخاصة، نتيجة لإحساسه بفرديته وذاته، واتخذ من الشبه الحسي أساسا لها، واستخدم لذلك ألفاظ معبرة موحية نقلها من الدلالات التي وصفت لها في اللغة إلى دلالات أخرى جديدة.

2/عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص15

-الوحدة العضوية: حيث يعتمد الشاعر في بناء قصيدته على الصور الجزئية ومن مجموعة كبيرة من هذه الصور الجزئية تتكون الصور الكلية الممتدة، والتي تعبر عن موقف وجداني واحد يكسب القصيدة وحدة عضوية وفنية".[1]

-" يغلب على أسلوبه طابع التجديد والابتكار والحداثة الظاهرة، وتختلف الصورة الشعرية عند هؤلاء الشعراء، فتكون أحيانا بسيطة يعتمد فيها الشاعر على ما في معجمه وإيقاعه وبناء عبارته من إيحاء بصدق العاطفة وحرارة الإحساس، وتكون أحيانا مركبة حافلة بمجازات تصل أحيانا إلى حد التجسيم".[2]

بمعنى انه يركز على الجانب الوجداني المتخصص بالعواطف والمشاعر، ولا يقتصر فقط على الجانب المادي من الوصف، بل يدخل في صميم المشاعر.

*"استأثر بمعظم طاقة الشعر العربي، وفجر ينابيع هذه الطاقة واخرج مشاعرها الكامنة التي كانت غافية.

*يؤثر بشكل فعال ومهم في التحكم في أغراض الشعر وموضوعاته، ويوظف المشاعر فيه.

*ترك إرثا كبيرا من الشعر العربي الذي يملك خصائص الجمال والحيوية والذي أطلق عليه اسم"ديوان العرب" وترك الكثير من القصائد الوجدانية الغنائية الرائعة.

*ركزت مواضيعه حول تقلبات المشاعر الإنسانية المختلفة وكل ما فيها.

1/انظر[الاتجاه الوجداني في شعر مهيار الديلمي]، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه،جمال علي زكي بسيوني-بتصرف-كلية الآداب، جامعة الزقازيق،2008، ص13.

2/المرجع السابق، ص16.

*التزامه بالغزل العذري الذي يحوي على افكار ومغزى، وتحوله عن الغزل الفاحش والصريح".[1]

*ترجمة عن الأمير عبد القادر:

1-نسبه:"هو عبد القادر بن محي الدين، بن مصطفى بن محمد المختار بن عبد القادر، بن احمد بن عبد القادر، بن خدة، بن احمد بن محمد، بن عبد القوي بن خالد، بن يوسف، بن احمد، بن بشار، ابن احمد بن محمد، بن مسعود، بن طاووس بن يعقوب عبد القوي، بن أحمد، بن محمد، بن إدريس، بن عبد الله، بن الحسن المثنى، بن الحسين السبط، بن فاطمة الزهراء، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

2-مولده ونشأته:

"ولد الأمير يوم الجمعة في ثلاثة وعشرين من رجب سنة 1222هـ، الموافق لسنة 1807م، غربي مدينة معسكر في بلاد الجزائر الواقعة في الجنوب الشرقي من وهران[3]" في قرية "القيطنة[4]" وقد" نشأ نشأة دينية في بيت ينتمي الى الطريقة القادرية، حيث كان والده محي

1/ مجلة ريجيم، rejeem.com، 09-03-2002، 2015.

1/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، د س، ص13.

2/ فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985، ص29.

3/القيطنة:هي قرية اختطها والد والده على رأس المائة من القرن الثالث عشر، وهو ما يوافق اكتوبر1786-1787، وهي مشتقة من القطن ضد الضغن لان أهله قاطنون، ينظر مصطفى بن

الدين عالما متصوفا فأولى ابنه عناية خاصة لدراسة علو الفقه واللغة والتفسير واستطاع أن يحفظ القران الكريم في سن مبكرة وقد أصبح طالبا عندما كان في الثانية عشر، أي في هذه السن كان متمكنا من القران والحديث"[1].وما أن بلغ "وما أن بلغ الرابعة عشر من عمره حتى أرسله والده إلى مدينة وهران لاستكمال تحصيله العلمي ومكث فيها عاما."[2] اشتهر في السابع عشر من عمره بشدة البأس وقوة البدن والفروسية حتى كان يشار إليه بالبنان بين الفرسان لمهارته في ركوب الخيل واللعب على ظهورها، واستطاع أيضا أن ينظم الشعر وهو دون العشرين ولم يسبق له أن تعلم موازين الشعر ومقاييسه، ولا يسبق له أن تلقى أصوله ومبادئه على يد أستاذ خبير في فن الشعر فجمع بين السيف والقلم،[3] "وكان من اقرب المقربين إليه من العلماء الشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ محمد الطيب والشيخ محمد الخاني والشيخ عبد الرزاق البيطار"[4]، وفي ربيع الثاني1241هـ عام1825م قام الأمير عبد القادر ووالده محي الدين بأداء فريضة الحج، فكانت هذه الرحلة للتعرف على الأوضاع في عدة بلدان عربية خلال سنتين كتونس ومصر والعراق وسوريا وليبيا ثم عاد إلى القيطنة سنة

التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خاصة، 2009م، ص48.

4/ شارل هنري تشرشل، حيا الأمير عبد القادر الجزائري، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص61.

[2]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص13.

[3]/ فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص32،-بتصرف-.

3/ الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، المواقف الروحية والفيوضاتالسبوحية، م ج1، موفم للنشر، دط، 1996، ص

1825م، وبعد دخول فرنسا إلى الجزائر قاوم الأمير الاحتلال بعد ما تمت مبايعته من قبل قسم كبير من الغرب الجزائري يوم 28نوفمبر 1832م.

"استمر الجهاد خمسة عشرة عاما اضطر الأمير في نهايتها إلى التسليم بعدها غدره الخونة وعملاء فرنسا وقد اتخذ من دمشق مقاما له"[1].

3-أئمة الأمير عبد القادر وشيوخه:

لقد تأثر الأمير عبد القادر بمجموعة من الأئمة والشيوخ وسار على خطاهم وكانوا قدوة له في حياته من أبرزهم:

*النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

هو أول شيوخ الأمير الذين هاجروا إليهم إذ أن الأمير يعتبر "أن الهجرة إلى الرسول هي المقصد الثاني للدلالة وهي هجرة جسمانية وكما كانت الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة قبل فتح مكة فهي اليوم باقية لورثة أحواله وأسراره، الداليين على الله تعالى الداعيين إلى المعرفة".[2]

*الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي:

هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن انس الخاتمي الطائي الأندلسي 560هـ-638هـ، 1165م-1240م، أما لقبه الكامل المشهور فهو الشيخ الأكبر هو حكيم وصرفي وفقيه ومفسر وأديب وشاعر من أئمة المتكلمين ولد في مرسييه جنوبي شرق أندلس قال الأمير: "

---

[1]/ المرجع السابق، ص32، -بتصرف-.

[2]/ الأمير عبد القادر، المواقف، ج1، دار اليقظة العربية، ط2 منقحة، 185، ص407.

الهجرة إلى الرسول أو وراثة واجبة على أعيان"[1] وبهذه الجملة "عرفنا أن الأمير إلى شيخه الصوفي الثاني بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهو الوارث المحمدي ومن هنا اعتبر الأمير أن شيخه محي الدين خزانته التي منها يستفيد فيما يكتب.. أما أما من روحانيته وأما مما كتبه في الكتب"[2]

بحيث أن هناك أوجه تشابه كبيرة بين الأمير والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي من بينها: "مجيئهما إلى ديار المشرق " الصالحية" إضافة إلى نفس الفترة الزمنية التي استغرقها كل منهما في تأليف مصنعه الشهير كتاب " **الفتوحات المكية**" للشيخ الأكبر وكتاب "**المواقف**" وقد كان ابن عربي شديد المدح لنفسه ويطربها إطراب يصل إلى حد المبالغة، وتبدو نفسية الأمير في الاعتزاز والفخر والتشامخ قريبة الشبه من نفسية أستاذه وشيخه".[3]

*الشيخ محمد الفاسي:

تأتي درجة هذا الشيخ في المرتبة الثالثة من مرتبة الشيوخ، وتبدأ علاقة الأمير بشيخه الفاسي في أثناء خلوته الصوفية بمكة التي قضى فيها سنة ونصف، نظم فيها قصيدته المشهورة التي وصف فيها بدايته ونهايته، واثني على الله بها أولاه على يد شيخه وكما بالغ الأمير في الحديث عن شيخه ابن العربي وتذلل إليه وكذلك بالغ في الحديث عن شيخه الفاسي وتذلل إليه تذللا، حتى قبل أقدامه وبساطه عند مثوله بين يديه بعد أن طال انتظار شيخه له سنوات طويلة فيقول:

---

[1]/ المرجع نفسه، ن ص.

[2]/ فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص170.

[3]/ المرجع نفسه، ص171.

أتاني مربي العارفين بنفسه ولا عجب فالشأن أضحى له أمر

وقال: فاني منذ اعداد حجة لمنتظر لقياك يأيها البدر

فقبلت من أقدامه وبساطه وقال: لك البشرى ...[1]

*الشيخ السهرودي:

لم يرد لهذا الشيخ الصوفي ذكر في مؤلفات الأمير الشعرية والنثرية.[2]

4- مرضه ووفاته:

من اغرب أحداث الزمان أن يقرا الإنسان بنفسه برقيات التعازي وقصائد الرثاء التي تصل إليه من أصدقائه وذويه وهو مازال على قيد الحياة، الحادثة التي نادرا ما تكون، "حدثت في حياة الأمير فقد أشاع المرجعون نبأ وفاته،[3] فاطلع على ما كتب عنه وسمع ما قيل فيه ثم قال:" إن الموت لابد منه عند نهاية الأجل والحمد لله الذي أراني واسمعني مل يقال في جانبي من الخير بعدي "[4]

---

[1]/ العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر، ج، ت، ش، حقوق النشر محفوظة لمنشورات ثالثة، ط3، د س، ص107.

[2]/عبد القادر الجزائري، تحفة *الزائر*، ش، ت، د،"العربي دحو" ممدوح حقي، دار اليقظة العربية بيروت، ط3، 1965، ص807.

[3]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر، ص55، -بتصرف-.

[4]/ محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية ، دط، دس، ص297.

يبين الأمير في هذا القول أن الموت سنة الحياة والتي لابد منها ولا مفر منها سواء احب المرء أم كره فالأعمار بيد الله وحده وهو القاضي بالأقدار وحده لا شريك له. وقد بدا الأمير حامدا وشاكرا الناس بعد موته ولا يزال حيا يرزق.

أصبح الأمير يشكو من آلام عديدة في جسمه وحاصرته الأمراض من كل جهة وجانب ولم تجدي الأدوية والعقاقير نفعا انه الأجل الذي يقترب يوما بعد يوم لنفس الأمير تلك النفس الطيبة والتي كتبت بصمتها بماء الذهب تاركة ورائها ذكريات خالدة شهد لها التاريخ وهكذا انتقلت روح الأمير عبد القادر إلى خالقها سبحانه وتعالى، ليلة التاسع والعشرين من رجب عام ألف وثلاثمائة، الرابع والعشرين من ماي عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين ودفن بجوار الشيخ محي الدين العربي داخل قبة مسجده.[1]

*مؤلفات الأمير عبد القادر:

لم يكن الأمير عبد القادر قائدا عسكريا وحسب، ولكن له مؤلفات وأقوال كبيرة في الشعر تبرز إبداعه ورقة إحساسه مع زوجه في دمشق ومكانته الأدبية والروحية.

له كتاب "**المواقف**"، وقد ألف في بروسة(تركيا) أثناء إقامته بها رسالة "**ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**" عبارة عن رسالة إلى الفرنسيين، وهو كتاب موجه لأعضاء المجمع الآسيوي بطلب من الجمعية، وكان تاريخ تأليف الرسالة في 14 رمضان 1855/1271م. ثم ترجمها الفرنسي " غوتسافديغا"إلى لغته سنة 1858م وهو القنصل الفرنسي بدمشق آنذاك يحتوي الكتاب على ثلاثة أبواب " في فضل العلم والعلماء" و به تعريف العقل تكملته وتنبيه وخاتمة، و " في إثبات العلم الشرقي" يتحدث فيه عن إثبات النبوة واحتياج كافة العقلاء إلى

[1]/ المرجع السابق، ص56،-بتصرف-.

علوم الأنبياء ...وفصل ثالث "في فضل الكتابة" المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والإلحاد وهو كتاب رائع للأمير عبد القادر الجزائري يبرز الأمير فلسفته في الحياة ونظرته غي شتى المجالات والميادين.[1] وبعد أن تحقق النصر للثورة الجزائرية بإدراجها إلى تجسيد وقائعهم نحو الأمير عبد القادر، فنقلو رفاته من العاصمة السورية إلى الجزائر ودفن في مقبرة العالية في مربع الشهداء الذي لا يدفن فيه إلا الشخصيات الوطنية الكبيرة كالرؤساء، ونقشوا على ضريحه عبارة أطلقها في وجه فرنسا حين كان أسيرا بين يديها يقول: "لو جمعت فرنسا سائر أموالها ثم خيرتني بين أخذها وأكون عبدا وبين أن أكون حرا فقيرا معدما، لاخترت أن أكون حرا فقيرا"[2]، وهذه العبارة اكبر دليل على قوة الأمير وشجاعته وقناعته وان دوافعه في العمل الإنساني هي الدوافع الحقيقية التي تولد القوة الذاتية والسلاح وهي الشعور الدائم الحي بالواجب، والثقة التامة المتواضعة في الله، وبهذا استطاع الأمير أن يخلد نفسه في عقول أبناء وطنه وترك أثرا في حياتهم فقد أصبح رمزا من رموز السيادة الوطنية وفخرا لكل من يقول أنا جزائري.

---

[1] الجزائري متصوفا وشاعرا، وزارة الثقافة الجزائرية، دط، 2007، ص.89 / مجلة الهلال، القاهرة، 1899، مج7، ص629، نقلا عن فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر

[2] / زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص55.

الفصل الأول:

الغزل، الفخر، العلم والثقافة

مفهوم الغزل:

هو "التغني بالجمال، وإظهار الشوق إليه والشكوى من فراقه، والغزل فن شعري يهدف إلى التشبه بالحبيبة ووصفها عبر إبراز محاسنها ومفاتنها وهو ينقسم إلى قسمين:

*الغزل العذري وله مسميات أخرى وهي الغزل العفيف أو الغزل البدوي.

*الغزل الصريح وله مسميات أخرى وهي الغزل الحضري"[1].

*انطلاقا من الاصطلاح اللغوي: "يعتبر الغزل من الناحية الأدبية فنا من فنون القصيدة الغنائية للتعبير عن الحب والأحاسيس للمحبين وانفعالاتهم وما تعكسه تلك الانفعالات في النفس من ألوان الشعور، وهكذا يكون الغزل إذا نبع من تجربة الشاعر الصادقة و احد ألوان الشعر الغنائي عند العرب وأقربها إلى النزعة الوجدانية"[2]، يستمد الشاعر معانيه بما فيها من عطاء الشعور واثر الحس والخيال من خلال علاقته بالمرأة ونظرته إليها ومنزلتها في واقعه ووجوده وعوامل البيئة والعصر.

*وكما هو معروف فان غزل الأمير عبد القادر الجزائري المعروف" برصانته وأخلاقه الفاضلة ونسبه الشريف هو: ذلك الغزل المادي الفاحش الذي نلفيه لدى الكثير من الشعراء بل هو غزل من نوع الغزل الروحي يتحدث فيه صبابته إلى زوجته أم البنين وتغزله بها تغزلا صادقا جياش العواطف"[3]، فكان إذا غاب عنها شكا، وإذا ذكرها تحسر، وإذا جن عليه الليل وهي بعيدة عنه صاح من أعماقه يشعر بالحرقة والشوق اليها ،"وهو يصف لنا حاله في كل

---

[1]/ موقع الكتروني، ويكيبيديا ، فنون الشعر العربي.

[2]/ المرجع نفسه.

[3]. www.adab islami.org 12-7-2012.

مكان باحثا عن حبيب القلب بعد أن أفناه الوجد فراح يجوب الديار والأماكن لعله يعثر على ضالته"[1] فيقول:

ألا قل للتي سلبت فؤادي وأبقتني أهيم بكل وادٍ

تركت الصب ملتهبا حشاه حليف شجى يجوب بكل ناد

ومالي في اللذائذ من نصيب تودع منه مسلوب الرقاد.[2]

*في هذه الأبيات معاني ملتهبة يبكيها الشوق، ويشعلها الحنين إلى الحبيبة، فالأمير يظهر في صورة كئيبة ضائعا لوحده في غياب حبيبته، فلا يكاد يلوى على شيء من شدة الحزن، يجوب الديار،طريح كل واد، فلا تجد الفرحة مكانا تتسلل منه إلى قلبه الحزين، يبيت والسهر ولا يعانق النوم جفنيه، وهو أسير الحب، وليس له من اللذات نصيب والحزن يملأ قلبه يأسا وألما.

وحينما يشتد هيامه، وتستأثر أشواقه، يعتريه قلق، ويحفزه تمرد، فيعاتب نفسه فيقول:

إلام فؤادي بالحبيب هتور ونار الجوى بين الضلوع تثور؟

وحزني–مع الساعات– يربو مجددا وليلي طويل والمنام نفور

وحتى متى أرعى النجوم، مسامرا لها، ودموع العين ثم تفور

أبيت كأنى بالسماك موكل وعيني– حيث الجدى دار– تدور[1]

---

[1] /محمد نور، الانزياح الموسيقي في شعر الأمير عبد القادر، جامعة تلمسان، الجزائر، دط، دس، ص134.[1]

[2] / زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص135.

نلاحظ بروز ذات الشاعر ، وبهذا يكون قد أخفى الطرف الأخر تماما، فيصف لنا معاناته لأنه المحب، العاشق" ومما يدلنا على ذلك هيمنة ضمير المتكلم كما نجده في قوله:(فؤادي، حزني، ليلي، كأني، عيني) فهو يبث لنا حزنه على محبو بته، وقلقه وإحساسه بتطاول الليل عليه، فالشاعر يعبر لنا عن معاني الحب من حرقة، وشوق، وحزن، وحنين، من خلال المضارع الذي وظفه توظيفا يليق بالحديث عن طول السهر، وقلة النوم شوقا إلى المحبوب، وطمعا في مؤانسته"[2]، حيث أنه بعيد عن العين قريب من القلب، كما يصف لنا دموعه وأنينه من حرقة الفراق وهي تفور.

وإذا تتبعنا غزل الأمير عبد القادر وجدناه يبث شكواه، ويصور آلامه المحرقة نحو بعض نسائه،" وهذا النمط من الغزل هو المحمود لدى من يميلون إلى الجانب الروحي في المرأة"[3]، ونجد للأمير أبيات التي تبث ما قلناه حيث يصف لنا فيها أشواقه إلى زوجته في بروسة وهي" تتسم بعاطفة صادقة ملتهبة، وشكوى صارخة لبعده عنها، وحرمانه من رؤيتها، وفيها تودد الفارس وذلة العاشق، وانه المحروم. في أسلوب خفيف سهل و نبرات روحية حزينة"[4] فيقول:

أقول لمحبوب تخلف من بعدى عليلا بأوجاع الفراق، وبالبعد

أما أنت–حقا– لو رأيت صبابتي لهان عليك الأمر، من شدة الوجد

---

[1]/المرجع نفسه، ص208.

[2]/وسيلة مرباح، شعر الأمير عبد القادر الجزائري، الرؤية والأداة، مذكرة شهادة الدكتوراه في علوم الأدب والحديث-بتصرف- ص81.

[3]/فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص98.

[4]/المرجع نفسه، ص ن.

وقلت: أرى المسكين عذبه النوى وانحله–حقا– إلى منتهى الحد

وساءت ما قد نلت من شدة الجوى فقلت: وما للشوق يرميك بالجد؟[1]

"نفهم من خلال هذه الأبيات أن درجة الأحزان تزداد عندما يتحول الماضي ليدل على الزمن النحوي الحاضر"[2]، لتعبر لنا عن معاناته، ألمه، "فالأمير عبد القادر لم يأت بجديد في مضمون الحب في انه مرتبط بالعذاب والألم والمعاناة، فجل الشعراء يجمعون على ذلك، وعلى سبيل المثال أبي فراس الحمداني باعتباره الشاعر القديم الذي يتقاطع مع الأمير عبد القادر في عدة مواضيع"[3].

ويواصل الأمير ليعبر لنا عن ألمه وحزنه وقلقه على فراق حبيبته وزوجته بكلمات تفوح يأسا فيقول:

ألا: هل يجود الدهر بعد فراقنا فيجمعنا، الدهر يجري إلى الضد

وأشكوك ما قد نلت من الم وما تحمله ضعفي، وعالجه جهدي

لكي تعلمي–أم البنين– بأنه فراقك نار، واقترابك من خلد[4]

تظهر حالة الأمير المأساوية والتي يعانيها بعد فراق محبوبته فنراه يتساءل عن اللقاء إذا ما قد يكون أو لا أمل منه، ويتساءل هل تجمعه الأيام مع حبيبته أم لا لقاء بعد الفراق، وهذا

---

[1]/المرجع نفسه، ص144.

[2]/وسيلة مرباح، الأمير عبد القادر الجزائري، الرؤية والأداة، ص95.

[3]/المرجع نفسه، ص ن.

[4]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص148.

التساؤل دليل على أن للأمير أمل كبير في اللقاء، فهو يتذمر من الفراق الذي يشعل نارا في قلبه، ويأمل اقتراب معشوقته أم البنين فيقول أن اقترابها من خلد.

ويبدو أن الأمير انهزم أمام الحب ليستمر ألمه وحزنه على الحبيبة، فياله من إحساس مؤلم قهر نفسه وقلبه، وجميع بدنه، ليعطي بصمة على كل قصائده الغزلية، والتي تكشف بوضوح عن حرقته ومعاناته الم البعد وآهات الفراق فيقول وقد اتعبه الحب وأهلكه العشق، فيقول:

وقد هالني، بل قد أفاض مدامعي وأضنى فؤادي، بل تعدى عن الحد

فراق الذي أهواه، كهلا ويافعا وقلبي خلى من سعاد ومن هند

وقد كلفتني الليل أرعى نجومه إذا نامه المرتاع، بالبعد والصد[1]

نلمح في الأبيات حالة الأمير الضعيفة والهزيلة وكيف لا يحزن وهو الذي فقد أهله، وضاع ملكه، فآه على نفسه المهزومة وعلى قلبه التعيس، فهو في هذه الحالة لا يوجد من هو اضعف منه، مثقل بالعذاب يتألم كطائر جريح تركه الصياد أسير القيد، بعدما كان حرا يزهو في الهواء طليق، يرقص بين الفراشات في فصل الربيع، وهكذا هو الأمير أتعبه الشوق فاشتعل لهيبه في قلبه، فلا تكاد نفسه الكئيبة تقوى على شيء، ساهرا والنجوم ولا يرعى النجوم، إلا من قتله الشوق إلى الأحبة، وهذا ما أراد الأمير رسمه لنا في هذه الأبيات.

أما بالنسبة للبيت:

فلو حملت رضوى من الشوق بعض ما حملت، لذاب الصخر من شدة الوجد[1]

[1]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص145-146.

نلحظ في البيت أن شوق الأمير فاق الحدود، فشوقه لا يتحمله حتى الصخر، ولو اشتاق الصخر كاشتياقه لذاب من شدة الوجد.

"ويجدر بنا قبل التعمق أكثر في عوالم الغزل عند الأمير عبد القادر، أن ننتقل إلى سؤال مهم طرحه الباحث فؤاد السيد، إذ يتساءل عن سبب خضوع الأمير عبد القادر للمرأة؟ وكان الباحث من خلال السؤال يريد أن يشير ضمنيا إلى أن ذلك الفارس المغوار الذي أذل كبراء وجنرالات الجيش الفرنسي والحق بهم الهزيمة تلوى الأخرى، لا يبدو انه يضعف ويخضع للمرأة، أن الإجابة عن هذا السؤال تبدو سهلة ولكنه في حقيقة الأمر جد صعبة، فالأمير نفسه لم يجد تعليلا لهذه الحالة الغريبة، فهو يتعجب من سطوة الحب على قلبه ونفسه.

وأما سلطان الجمال فالأمير نفسه يعجب من واقعه الغريب ويذكر بأنه فارس، وهو سلطان الجمال،الذي يمتلك مهج الفرسان ويخضعهم لسلطانه"[2]، وفي هذا الشأن يقول:

ومن عجب تهاب الأسد بطشى ويمنعني غزال عن مرادي

وماذا غير أن له جمالا تملك مهجتي ملك السواد

والسلطان الجمال له اعتزاز على ذي الخيل، والرجل الجواد[3]

وتستمر حالة الأمير الكئيبة فنجده مرددا أبيات توحي بقساوة الحبيبة ومكرها فيقول:

أقاسي الحب، من قاسى الفؤاد وأرعاه، ولا يرعى ودادي[1]

---

[1]/ المرجع نفسه، ص146.

[2]/ فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص214-بتصرف-.

[3]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص134.

*لقد أصبح متوقعا من الحبيب أن يبتعد ويهجر ويتلذذ بالنوم، ولا يصغي للمحب، ويزداد في الهجر والصد يوما بعد يوم، ولما لا وقد اخذ مكانة عظيمة في قلب العاشق، فلا مجال إلا أن يتدلل ويستمر فالبعد وهكذا لا يوجد ما يثير الاستغراب والتعجب، ويعمد العاشق أحيانا في حديثه عن محبوبته" وبث شكواه عن المذكر بينما يريد المؤنث، ويبث ما يعانيه من شوق وحنين، وعلى النحو الذي نلمحه في مطلع الأبيات، فشاعرنا لا يلبث أن ينتقل إلى ضمير المؤنث في الأبيات"[2]، ويتضاعف حزن الأمير شيئا فشيئا على أم البنين، لينطلق لنا بأبيات تعبر لنا عن مدى حب الأمير لها وهي بعيدة عنه فيقول:

جفاني من أم البنين خيال فقلبي جريح، والدموع سجال

ولو قلت: دمعي قد ملكت، فكاذب بدعواي، بل ذا غرة وضلال

بي ما يزيل العقل عن مستقره فلا تعجبوا إن قيل: فيه خبال

احب الليالي كي أفوز بطيفها وأرجو المنى، بل قد أقول: أنال[3]

يبدأ الشاعر أبياته بجفاء أم البنين ثم يعود للتحدث عن جفاء الحبيب، وما يفعله بالمحب، فالحزن والمعاناة هما مصيره، نتيجة هجر المحبوب وبعده المستمر، ثم لا يلبث إلا أن يتحدث عن دموعه الغزيرة وبكائه على معشوقه، وان ما به من حزن كان سببا في هوس

---

[1]/ المرجع نفسه، ص133.

[2]/الديوان، ص110.

[3]/المرجع نفسه، ص260-261.

عقله واختلاله، ولم يطق صبره على هذا الكتمان ولهذا يقال: "**المحبة هتك الأستار وكشف الأسرار**".[1]

ويقول أيضا:

وما هي إلا الروح، بل إن فقدتها فان بقائي دونها، لمحال[2]

بيت في قمة الروعة حيث يكشف لنا عن المكانة الكبيرة التي تحتلها الحبيبة في قلب الشاعر فهي الروح وهي الحب وهي الأساس ولا قيمة للجسد بلا روح ولا حياة إلا بها وهذا يظهر حبا عظيما يكنه الأمير فهو لا يستطيع البقاء من دونها وما دام لا يريد البقاء فلا يوجد مكان للراحة والعيش الطيب إلا بجانبها ولقد عد بقاءه أمر مستحيل بالنسبة إليه فهي المعشوقة وهي المراد ورؤيته هذه تدعم المقولة التقليدية" **إن الحياة تتجلى في الحب**".[3]

وكما أن الأمير لا يستطيع بعد محبو بته عنه ويجد في ذلك حزنا وألما، كذلك نجده من ناحية أخرى ذلك الرجل القوي والعاشق الصبار الذي يرضى بقدر مكتوب عليه فيقول:

فان كان هذا البعد، تأديب مذنب فانا بهذا القدر، صرنا على شفا

وإنا لنخشى، إن تطاول بعدكم يصير لكم سلوى، فلا يرتجى شفا

---

[1] / ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين، وباب السعادتين، ضبط وإخراج، محمد تامر، وعبد العزيز مصطفى، دار التقوى، القاهرة، ط1، دس، ص292.

[2] / الديوان، ص261.

[3] / جان نعوم طنوس، صورة الحب في الشعر العربي الحديث، دراسة تحليلية نقدية، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1،1430هـ-2009م، ص66.

فمنوا بلقياكم، وإلا فلا بقا وريح الفنا تسفي علينا، إذا سفا[1]

مما يوحي لنا عن صبر الأمير عن هجر محبو بته وهو يخشى من طول الهجر فكلما زاد البعد ازدادت درجة شوقه وتضاءلت درجة أمله في الشفاء فشفاء العاشق لا يتحقق إلا بقرب المحبوب فالأمير يأمل في اللقاء وإلا فريح الفنا تسفي عليه .

*تتواصل معاناة الأمير ليتحدث عن ألمه العميق فيقول:

واني– وحق الله–دائم لوعة ونار الجوى، بين الجوانح في وقد

غريق أسير السقم، مكلوم الحشا حريق بنار الهجر والوجد والصد[2]

الكلمات العاطفية التي تحملها الأبيات تظهر لنا عمق المعاناة التي ألمت بالشاعر، واستولت عليه وضمير المتكلم دالاً ذلك حيث استولى هذين البيتين.

وتظهر معاناته بشكل واضح عندما يقول:

غريق حريق، هل سمعتم بمثل ذا ففي القلب نار،والمياه على الخد

حنيني، أنيني، زفرتي، ومضرتي دموعي، خضوعي، قد أبان الذي عندي[3]

*"مما يشعرنا بان الحب اختلى بالذات وأثقلها بأنواع صنون العذاب والتي تزداد كلما تدرج المحب في الحب وقد ذكر الشاعر مختلف درجات الحب (اللوعة،

---

[1]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، 144.

[2]/المرجع نفسه، ن ص.

[3]/ المرجع نفسه، ص145.

الوجد) التي تشي بأنه وصل إلى أعلى مراتبه وتبدو الذات عاجزة عن الخلاص ويظهر ذلك من خلال أفعال الذات وكثرة الأسماء وهيمنتها المطلقة"[1].

ويظهر في غزل الأمير تأكيده على عفة الحبيبة والسيطرة التامة لذلك الحب على العاطفة أي الوجدان وقد تجلى هذا الأمر في قوله:

ألا من منصفي من ضبي قفر لقد ضجت مراتعه فؤادي.[2]

أي أن الحبيب سيطر على كامل وجدانه.

ولقد ظهر حرصه على العفة والطهارة في قوله:

وابذل مهجتي في لثم فيها فتمنعني، وارجع منه صاد[3]

أي أن الحبيبة عفيفة طاهرة وعفتها فاقت كل الحدود فهي تصد الأمير حين يريد تقبيلها وتمنعه عن فعل ذلك لأنها غاية في العفة .

وبالنظر إلى أشعار الأمير التي تتغزل بالمرأة، نستنتج أن الشاعر متعلق بحب المرأة الجميلة إلى درجة العشق فالمرأة كائن خلق من اجل الرجل وليعشقه الرجل وهو ما نجده في هذه الأبيات كإثبات لما قلناه:

واخضع ذلة، فتزيد تيها وفي هجري، أراها في اشتداد

فما تنفك عني ذات عز وما انفك في ذلي أنادى

---

[1]/وسيلة مرياح، شعر الأمير عبد القادر، الرؤية والأداة، ص105.

/رابح بونار، الأمير عبد القادر وحياته وأدبه، مجلة آمال عدد خاص عن الأمير عبد القادر، الجزائر، [2]دط، جويلية1970، ص22.

[3]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص133.

فما في الذل للمحبوب عار سبيل الحب، ذل للمراد[1]

"لا شك في أن تأثره بمدونة الشعر الجاهلي في الغزل واضحة وأيضا بالثقافة العربية ككل التي جعلت من المرأة موضوعا للحب لا أكثر منها ذاتا فاعلة"[2] ونظرا لما نلمحه في الأبيات من الحب الذي يكنه الشاعر لمحبوبته فهو لا يرى في الذل عار والأصل في الحب الذل للمحبوبة مما يبين عشقه الأبدي للأنثى واجتهاده في السعي ورائها رغم إصرارها على البعاد وفضلت التدلل على مطاوعة الأمير في هواه.

*"يروى أن الأمير التقى بامرأة أجنبية جميلة وأنيقة عندما كان في الأسر في فرنسا فسألته:"لماذا تتزوجون العديد من النساء وليس واحدة فقط كما عندنا؟ فأجابها الأمير: نحن نحب واحدة من اجل عينيها وأخرى من اجل شفتيها والثالثة من اجل قامتها والرابعة من اجل عقلها وقلبها فإذا اجتمعت هذه الصفات في امرأة واحدة مثلك لما اخترنا غيرها"[3].

لكننا لا نجد في أشعاره الغزلية أي وصف لتحديد ملامح المرأة التي أحبها، بل كان شاعرا تقليديا يصوّر المرأة بصورة الضبي، والغزال، وقد حظي حب النساء في نفس الأمير درجة كبيرة، نظرا إلى ميزة الشعراء التي ترتبط بعشق المرأة ولهذا يقول:

أود بان أرى ظبي الصحاري وارقب طيفه، والليل سار

واطلب قربه فيزيد بعدا قديما–من وصال– في نفار

أمازحه، فلا يرضى مزاحا واسأله المراء، فلا يمارى.[4]

---

[1]/المرجع نفسه، 134.

[2]/فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص76.

[3]/وكيبيديا.

[4]/ الديوان، ص158–159.

نلاحظ انكسار الشاعر وحزنه العميق في وصف الفراق في صورة بليغة وبديعة ورائعة ونلمح في الأبيات تعلق لا يضاهيه تعلق فكما يقال: "بلغ السيل الزبى" فدرجة التعلق وصلت إلى أقصى الحدود والوصول في الحب إلى رؤية الطيف إنما هو عهد لا يزول ولا يحول لما فيه من لهفة للحبيب وبين لهفة المحب وجفاء المحبوب فالمحبوب يصد جميع المنافذ وهنا يموت الأمل ويحيا واليأس فلا مجال للوصل أما العاشق المسكين فهو المعذب الأول والأخير.

" ولم يقتصر امرئ القيس في تشبيه جيد الحسناء بجيد الريم ونرى الأمير قد تجاوز جمال المشبه به أيضا حين وصف جمال المشبه بان جعل ذات الخلخال تفوق في نضارتها وأبهتها نظارة الغصون بما ازدانت من برود يمانية".[1]

خليلي، وافت منكم ذات خلخال تتيه على شمس الظهيرة بالخال[2]

وأبثثتها وجدي وما بين أضلعي من البعد والأشواق، والدمع كالخال

وحدثتها عن لوعتي وتحرقي وقطع الليالي، بالتأمل كالخال[3]

"اعتقد أن الأمير عبد القادر اعتنى بقوافيه عناية تلفت النظر بل انه اعنت نفسه في عدد منها انسجاما مع روح العصر ورغبة منه في إبراز تفوقه فكأنما أراد كما أراد عنترة من قبل أن تسري دماء الفروسية في عروق الشعر فلا ينقاد جواده إلا لفارس عركته مضائعه هاهو ذا يرد على صديقا أرسل إليه أبيات مثقلة بالمحسنات البديعية فإذا هو يجنح إلى هذه القصيدة"الخالية" تدفعه إلى ذلك دفع روح العصر والرغبة في التفوق".[4]

---

[1]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص265.

[2]/ المرجع نفسه، ص262.

[3]/ المرجع نفسه، ص265.

[4]/ محمد نور، الانزياح الموسيقي في شعر الأمير عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص129.

والملاحظ أن الأمير عبد القادر في حديثه عن المرأة إنما يطغى عليه إلى حد بعيد التحدث على جمال الجسد" فهناك نوع من التوأمة بين المرأة والجمال، وفتنة جسدها ووجهها وأفضت المناسبة إلى ذكر شروط الخدود عند نساء مكة فاستمع الأمير إلى شعر يمتدح الشروط ولكنه لم يتفق معهم ورأى حسن الخدود في سلامتها لا بتشريطها عندما قال احدهم"[1]:

رأيت لها شرطا على الخد قد حوى جمالا، وقد زاد الملاحة بالقرط

فقلت: مرادي اللثم. قالت: بخلوة فقبلتها ألفا على ذلك الشرط.[2]

وهنا يرد الأمير بقوله:

أقول لقوم لا تفيد نصيحتي لديهم، ولو أبديت كل الأدلة

ألا فاتركوا ورد الخدود وشانه فتحديدكم في الخد أقبح فعلة

أيعمد ذو لب، لخد مورد ويقسمه عمدا إلى شر قسمة

واني لأهوى كل خد مورد زها. قط لم يمسسه موسى بخدشة.[3]

في الأبيات معاني جميلة وموقف رائع عبر عنه الأمير اتجاه المرأة فهو يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة كما لا ينكر جمالها الذي يأسر العيون ويسلب القلوب وقد تحدث من خلال الأبيات عن طهارة الوشم عند المرأة والذي كان له صيت واضح آنذاك فهو يصف خدها بالمورد لشدة جمالها كما يرى أن تقسيمه ينقص من جمال المرأة فجمال الخد في سلامته وهو يذم هذه العادة السيئة.

---

[1]/محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ص243.

[2]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص121.

[3]/ المرجع نفسه، ص121-122.

"مما يوحي ويؤكد أن للأمير ذوق جمالي راق جدا كما أن له موقفا صريحا لصالح جمال المرأة وضد تشويهه ذلك كله يحيل بدوره إلى وقوف الأمير في نظريته الإيديولوجية إلى الواقع العربي الإسلامي وقفة مناقضة تماما لما هو سائد في هذا الواقع من سلوكيات واعتقادات تقلل من قيمة المرأة وتبخس تأثير جمالها ودور إعجاب الرجل بها مما يدفعه في كثير من الأحيان إلى إبداع قصائد غزلية يتغنى فيها بذلك الإعجاب".[1]

يعمد الأمير من خلال الأبيات السابقة ومن خلال القول الذي بين أيدينا إلى "إبداع موقف شجاع ومتحضر من ظاهرة الوشم التي كانت ذات شان وهو يقول الأبيات بمرارة وحسرة".[2]

"فالجمال في نظر الشاعر يكمن في الخد المورد ويستهجن الخد الذي نالته الخدشات فيعجب من أولئك الذين يفضلون الخد المقسم فالأمير يخالف الرأي الذي يستحسن الخدود المشرطة"[3].

ويواصل الأمير حزنه واشتياقه للحبيب الذي راهن على هجره واستمر في البعد والفراق معبرا عن حالته النفسية الداخلية وعما يختلج في فؤاده اثر فراق

المحبوبة فيقول:

ولو لم يكن للعاشقين تقرب لوقت وصال، ما بقوا لمساء

وان دام هجر الحب، أو زاد بينه فذلك داء لم يزل بشفاء

وفي من مضوا في شرعة الحب الهوى له أسوة، فليصبرن لبلاء[4] .

يرى الأمير انه لو انقطع اللقاء بينه وبين حبيبه لما بقي إلى مساء لما بقي حيا وعدّ من الأموات فلو دام هجر الحبيب لدام السقم في جسم العاشق لا شفاء منه فطول الهجر داء لا

---

[1]/ محمد بشير بويجرة، رائد الشعر العربي الحديث، دار القدس العربي، ط3، دت، ص92.

[2]/ المرجع نفسه، ص91.

[3]/المرجع السابق،-بتصرف- ص94.

[4]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر، ص95.

شفاء منه وسقم ليس له علاج فالعاشق لا ييأس إلا بقرب المعشوق ولا تطيب له الليالي إلا به فكلما ازداد البعد ازدادت المعاناة ولهذا لابد للمحب من الصبر على محبوبه لأنه بلاء وفي شرعة الحب والهوى أسوة له في من مضوا وسبقوه من العاشقين "تعبير عن إحساسات صادقة يشعر بها المحب فمن الطبيعي أن يقف المحب على ديار من يحب ومن يهواه وان يستعيد ذكريات عزيزة عنده وان يحن له ويشتاق إليه وان يأسف على فراقه"[1] .

يكشف لنا القول على أن غرض الغزل تعبير عن إحساس المحب وعما يختلج في نفسه من عواطف يكنها لمحبوبه كفطرة في الإنسان.

كما نشر أبيات يسال فيها عن طريقة شفائه من حبه لمحبوبه يقول:

سألت رجال الطب اخبر كلهم وهم أهل تجريب، وأهل ذكاء

بأن سقيم الحب، هيهات ماله دواء، إذا ما الحب أصبح نائى

عسى ولعل الله، أن يبرد الأسى فان رجال الوصل بعض دواء[2]

" أراد الأمير بالحب النائي، الحب الصادق الذي سلك طريقة إلى قلبه واستقر به"[3] ولم يجد له شفاء وهو يسأل رجال الطب لعله يحضى بالدواء ويطلب من الله تعالى أن يبرد قلبه من نار الشوق فإن رجال الوصل بعض دواء ودواء العاشقين هو الوصل.

*"وبالنظر إلى موروث الأمير الشعري والأدبي يمكنني القول بان غرض الغزل كان أوفر حضا وابرز من بقية الأغراض الشعرية الأخرى وأصدقها تعبيرا عن كينونة

---

[1]/ محمد بشير بويجرة، رائد الشعر العربي الحديث، ص112.

[2]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص94.

[3]/ المرجع نفسه، ص ن.

الأمير وعن إنسانيته وعن رقة شعوره وإحساساته، حين نجد له إحدى عشرة مقطوعة وقصيدة ذات مستوى فني راق موضوعا وأسلوبا، فلو قرأنا مثلا قوله:

وتهجرني بلا ذنب تراه فظلمي قد رأت دون العبادي

لأدركنا عمق إنسانية الأمير وهشاشة مواقفه اتجاه المرأة وضعف إرادته أمام من يحب ويعشق"*.[1]

*صحيح أن الأمير عبد القادر بالغ في حبه للمرأة ويظهر ذلك جليا في قصائده الغزلية والتي انفجرت جميعها بكلمات صادقة تفوح حبا بيّنه الأمير اتجاه الأنثى" وفي هذه الخلفية شيء من عزاء الأمير في هيامه وتضرعه وتفهمه في الوقت نفسه ونماذج مادية ترسم صورة لا فن فيها ولا خيال بل رغبات مادية مباشرة معلنة تتركز في حرمان وصدور مصدرهما الأساسي من طبيعة الحياة وقيم المجتمع"[2].

-وبعد أن اطلعنا على معظم الكتب التي تتحدث عن الشاعر عبد القادر اتضح لنا جليا أنّ اغلب كتب تحمل بين طياتها أنباءا توحي لنا بأن إلى جانب غرض الغزل كان الأمير يصوّر تصويراً صادقاً في روائع شعره وقصائده في غرض اسمه "**الفخر**" أو ما يسمى بشعر الحماسة.

2/الفخر:

* تعريفه:

"هو الاعتزاز بالفضائل الحميدة التي يتحلى بها الشاعر أو تتحلى بها قبيلته والصفات التي يفتخر بها الشعراء هي: الشجاعة، والكرم، والنجدة، ومساعد المحتاج. ويشمل الفخر جميع

[1]/ محمد بشير بويجرة، مرجع سبق ذكره، ص112.

[2]/وكبيديا، شعر الأمير عبد القادر.

الفضائل، أما الحماسة فهي: الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحروب، ولذلك هي تدخل في الفخر، وليس كل فخر حماسة، حيث نجد الحماسة عند الأمير عبد القادر كما نجدها عند عنترة ابن شداد العبسي، وكذا عند عمرو ابن كلثوم"[1].

ويحاول الأمير جاهدا أن يرتقي للمجد والخصال الحميدة ويرحل في طلبها فيتحمل الأخطار والمشاق ولا يهاب العراقيل حتى يدرك ضالته ومن يسعى إلى بلوغها لا يعرف الهدوء أبدا والصبر هنا هو السلاح الذي يجب أن يتحمله الشاعر فلابد من الصبر وإلا فلا مجال لبلوغ المنى ولهذا يقول:

لنا في كل مكرمة مجال من فوق السماك لنا رجال

ركبنا للمكارم كل هول وخضنا أبحرا، ولها زجال

إذا عنهما توانى الغير، عجزا فنحن الراحلون لها، العجال[2]

يتغنى الشاعر في هذه الأبيات بالصفات الحميدة التي يسعى إليها المرء من اجل بلوغ المنى فمن يطلبها عليه بالعزم والصبر والمخاطرة بالنفس في سبيل المجد، وعدم التأني في طلب هذه المكارم التي يعجز عنها الآخرون لقلة صبرهم وضعف إرادتهم.

"وهو لا يقف عند هذا الحد فحسب بل يتعداها فيحاول جاهدا في طلبها بالرحيل إليها وذلك بالتنزه عن اللؤم وصد الضيم والأذى والحلم والكرم والسيادة العادلة والإرادة"[3] ليقول:

رفعنا ثوبنا عن كل لؤم وأقوالي تصدقها الفعال

ولو ندري بماء المزن يزري لكان على الضيم احتمال[1]

---

[1]/عبد الحليم محمد حسين، الفخر والحماسة في الشعر العربي، مقالات متعلقة، 27-20-2012

[2]/ زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص 257.

[3]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص71.

فلا جزع ولا هلع مشين ومنا الغدر أو كذب محال

أول ما نلحظه في هذه الأبيات خلق نبيل وهو التنزه عن اللؤم وشح النفس والترفع عن هذا الشح قولا، وفعلا، فمن يسعى إلى البطولة عليه أن يجتهد في نيلها، لذلك يجب التحمل في سبيل إبعاد الظلم، والأذى عن الآخرين، كما يجب الترفع عن الغضب، والكذب والخيانة، ويتحلى بالحلم والكرم، والجود ، فيعطي قبل أن يسأل ويعفو ويصفح عند المقدرة، وهكذا ركب الأمير الأهوال ليرتقي سلم المكارم والمجد لا طمعا في الدنيا ونعيمها، بل كان هدفه غاية نبيلة حيث رأى نفسه كفؤا لتحقيقها فلم يتوانى أبدا في مساعدة المظلوم وإعانة المحتاج.

مما يسمح لنا القول بأن الفخر في شعر الأمير يماثل تماما الشعر الوطني الآن الذي يفتخر فيه الشاعر بمناقب وطنه وبمفاخر أساطين أمته والعادات والتقاليد الإنسانية التي يتمسك بها سكان هذا الوطن الذي يفاخر بهم ومن اجلهم في أقواله[2]:

الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر[3]

وقوله:

فإنا أكاليل الهداية والعلى ومن نشر علياها ذوي المجد قد طوى[4]

نلاحظ من خلال القول أن هناك مقارنة بين الفخر عند الأمير عبد القادر وشعراء الشعر الوطني في افتخارهم بمناقب أوطانهم وهذا الربط يشبه إلى حد كبير الشعر الوطني الذي يفاخر به الشاعر بمناقب وطنه.

---

[1]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ج، ش،ت، منشورات ثالثة،الجزائر، ط3، 2007، ص46.

[2]/محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ص110.

[3]/المرجع السابق، ص51.

[4]/المرجع نفسه، ص53.

ثم ينطلق بنا الأمير ليتحدث عن فخره وحماسه البطولي وبطولاته الخالدة وهو يسعى للخوض في مغامرات شديدة نتيجة قوة الصبر في تحمل متاعب تلك البطولات التي حققها ورجاله فشهد لها التاريخ يقول:

كم نافسوا، كم سارعوا، كم سابقوا من سابق لفضائل وتفضل

كم حاربوا، كم ضاربوا،كم غالبوا أقوى العداة بكثرة وتمول

كم جاهدوا، كم طاردوا، وتجلدوا للنائبات بصارم وبمقول[1]

"وحين تأتي كم الخبرية لتربط بين الماضي والحاضر لتنهض بحشد صور هؤلاء الفرسان وهم مجتمعون من اجل المنافسة والمسابقة والمحاربة والمجاهدة والمطاردة وتشريد العدو وتبديد شمله وجمع كلمة المجاهدين على الحق والجهاد في وطن واحد وملة واحدة يصدر منها عمل واحد يجد به المؤمن الحقيقي الأمان والسكينة ويهب لاقتدائه متى نادى منادى الجهاد إلى ذلك ويستمر اعتزاز الأمير بنفسه وبالرهبة التي زرعها في قلب العدو الفرنسي الغاشم والتي لا يزال يعترف بها الزمان"[2] فيقول:

سلوا، تخبركم عنا فرنسا ويصدق إن حكت منها المقال

فكم لي فيهم من يوم حرب به افتخر الزمان، ولا يزال[3]

"تتمظهر قوة الرهبة في معارك الأمير الحربية والتي خاضها ضد فرنسا ففيها تجلت بطولته وبرزت شجاعته وحنكته في الحروب ضد العدو الغادر فقد كان شديدا على الأعداء وقاهراً

---

[1]/المرجع نفسه، ص86.

[2]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، ص73.

[3]/المرجع نفسه، ص47.

لهم"[1] وهو يعلم حقا أن فرنسا لو أنها سئلت عن بطولته لقالت وحدثت لأنها تقر ببراعته العسكرية ومهارته السياسية فقد اعترفت بما ألحقه بها من هزائم وخسائر مادية وبشرية وقد انتصر ألاف المرات ولا يزال إلى يومنا هذا يعتز به الزمان ويفتخر.

"وعبد القادر في فخره ينقلك إلى واقع حقيقي فهو لم يتخيل معاركه وحروبه تخيلا كما يصوّرها بعض الشعراء وإنما يصف كل ما رآه وعاناه فقد أفنى أيامه وزهرة شبابه بين قعقعة السلاح و صهيل الخيل وغبار المعارك مع أهله وجنده الأشاوش كما نلمس في فخره اثر عنترة والمتنبي فقد تغنى مثلهما بالشجاعة والبأس والبطش بالعدو وقد عرف المعارك ومارسها ممارسة الجندي والقائد"[2] فيقول:

تسائلني أم البنين، وإنها لأعلم من تحت السماء بأحوالي

ألم تعلمي يا ربة الخدر أنني أجلى هموم القوم في يوم تجوالي[3]

"نلاحظ من خلال الأبيات صوت الهمزة المدوي واللامع بمعاني القوة والرهبة والشجاعة والإصرار والتي اتسمت بها ذات الشاعر وقدرته على محاربة الأعداء، ولتأكيد ذلك اختار الشاعر ألفاظا موحية مثل:اجلي، مما أدى إلى الاستعداد لردع العدو فالأمير يفتخر وهو غائب عن عائلته وقد خص بالذكر زوجته أم البنين، وينطلق في وصف آيات البطولة

---

[1]/عبد الرزاق بن السبع، مرجع سبق ذكره، ص80.

/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع [2]الشعري، دط، دت، ص75.

[3]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص266.

والشجاعة الذي تمثل المرأة فيه الركن الأساسي أختا كانت أم حبيبة فالمرأة نصف الرجل وتمام عيشته وحياته وهنائه وهي مبعث الرضا والشفاء والرخاء"[1]. يقول:

وأغشى مضيق الموت، لا متهيبا واحمي نساء الحي، في يوم تهوال

يثقن النساء بي، حيثما كنت حاضرا ولا تثقن في زوجها ذات خلخال[2]

فلا غرابة أن يسعى الرجل لنيل رضا المرأة في كل حين "وقد توصل الأمير ببراعته إلى الوسائل الموصلة إلى ذلك فتارة يغني لها وتارة يتحدث عنها ولها حديث القلب وخواطر الفؤاد وقد اتفقت كلها في هوى القلب وبث الصبابة والوجد وكعادة الأبطال تراهم يتقدمون الصفوف معرضين أنفسهم لخطر الردى"[3]، ليعطوا المثال والقدوة لجنودهم في التضحية والفداء حيث تراه يتقدم رفقة جيشه مع بداية النزال همه إبادة العدو فيقول:

أمير، إذا ما كان جيشي مقبلا وموقد نار حرب، إذا لم يكن صالي

إذا ما لقيت الخيل، إني لأول و إن جال أصحابي فاني لها تال[4]

ويقول أيضا:

وأورد رايات الطعان صحيحة وأصدرها بالرمي تمثال غربال[5]

---

[1]/زكريا صيام،ديوان الامير عبد القادر الجزائري، ص85-بتصرف-

[2]/المرجع نفسه، ص267.

[3]/فؤلد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص98.

[4]/الديوان، ص267.

[5]/الديوان، ص267.

ويتقدم أشباله تخايله كالأسد فيقول:

وبي تتقي–يوم الطعان– فوراس تخالينهم في الحرب أمثال أشبال[1]

*وينقلنا شاعرنا إلى صورة عنترة بن شداد وهو يحاول فرسه الذي اشتكى الجراح والطعنات يدعوها فيها إلى الصبر والتحمل كفارسه إذ يقول:

إذا ما اشتكت خيلي الجراح تحمحما أقول لها: صبرا كصبري واجمالى[2]

تقدير الكلام في الشطر الثاني: اصبري صبرا كصبري وإجمالي .

لا يدرك شكوى الخيل إلا فرسانها فالأمير يحب فرسه أن تصبر كصبره إذا ما اشتكت إليه تحمحما أما حصان عنترة فقد ازور من وقع القنا ومن ثم شكا إلى صاحبه بعبرة وتحمحم يقول:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم[3]

*فمعظم قصائد الأمير من ميمية "عنترة بن شداد" فقد تحدث عن الأنثى وافتخر ببطولاته واعتز بشجاعته وانه فارس وقد تحدث عن فرسه الذي يشتكي لصاحبه في المعركة.

أجل إلى هذا الحد يعتز الأمير بنفسه الكريمة وهو يعلم أنها غالية ولكنها ترخص في سبيل الدفاع عن الدين والشرف ويلتفت إلى زوجته أم البنين ليبين لها بطولاته فيقول:

وابذل يوم الروع نفسا كريمة على أنها في السلم، أغلى من الغالي

---

[1]/المرجع نفسه، ص268.

[2]/ المرجع نفسه، ص ن.

[3]/ المرجع نفسه، ص268.

ويبعث الأمير الخوف وينشر الرعب في قلوب الأعداء فيقول:

سلى الليل عني كم شققت أديمه على ضامر الجبين معتدل عال

سلى البيد عني والمفاوز والربي وسهلا وحزنا، كم طويت بترحال

فما همتي إلا مقارعة العدا وهزمي أبطالا شدادا بأبطالي[1]

نلاحظ من خلال الأبيات مخاطبة الأمير لام البنين "البيد، والربى، والمفاوز" ولما لا وهو الأمير الذي كان يهابه الصاحب والعدو، إنها ولاشك الثقة في النفس في أبهى صورتها فالأمير هو مصدر خوف وهلع لأعدائه فيقول:

فلا تهزئي بي، واعلمي أنني الذي أهاب، ولو أصبحت تحت الثرى بالى[2]

"لقد التزم الأمير أمام أبناء وطنه بان يتحمل مسؤولية العباد فقضى معظم أيامه ولياليه ممتطيا صهوات الخيل وخيله صابرة تعاني التعب"[3] وكأنها أحست أنها تحمل مسؤولية عظمى فوصلت هؤلاء الفرسان بأعدائهم فيقول:

توسد بمهد الامن، قد مرت النوى وزال لغوب السير، من مشهد الثوى[4]

وقد حاور الأمير عبد القادر عنترة بن شداد العبسي بقوله:

وعنى سلى جيش الفرنسيين تعلمى بأن منا ياهم بسيفي وعسالي

---

[1]/المرجع نفسه، ص269.

[2]/المرجع نفسه، ص ن.

[3]/عبد الرزاق بن السبع، مرجع سبق ذكره، ص79.

[4]/المرجع السابق، ص99.

كما قاله عنترة:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنتي جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى واعف عن المغنم [1]

ويواصل الأمير اعتزازه ببطولاته وبنفسه التي شهد لها الأعداء أنفسهم فيقول:

ولا هالني زحف الصفوف، وصوتها بيوم يشيب الطفل فيه مع المرد

وأرجاؤه أضحت ظلاما، وبرقه سيوفا، وأصوات المدافع كالرعد[2]

نلاحظ في هذين البيتين شجاعة الشاعر التي أمام العدو وأصوات السيوف فهي أصوات مرعبة من خلال الكلمات (زحف، أصوات، الرعد) فكلها كلمات تدل على القوة، يريد الأمير من خلال هذه الكلمات أن يصور لنا مشهد الحروب فالحروب مرعبة بأصواتها ولا يثبت فيها إلا الأبطال .

ويريد شاعرنا أن يأخذ صور العرب وهم في الصحاري المقفرة بكل شجاعة على الرغم من الأخطار ومن أسمى آيات الاعتزاز بالخصال العربية التي يفتخر بها أيما افتخار فيقول:

وكم من مفازات يظل بها القطا قطعت بها والذئب من هولها عوى

وقد أصبحت مثل القسي ضوامرا وتلك سهام للعدى وقعها شوى[1]

/ممدوح حقي،ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ش،ت، المطبعة التعاونية اللبنانية، ط3، 1964، ص42.[1]

[2]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص145.

نلاحظ من خلال الأبيات انه رغم الخطر الذي يحوم بالأمير ورغم الأهوال و الخوف إلا أن الأمير يتجاوزها إلى أن يصل إلى قومه بخيله الهزيلة والتي أوشكت على الموت.

"وليست الفروسية والبطولة عند الأمير عبارة عن وثبة على ظهر جواد ولا ضربة سيف قوية أو شجاعة متهورة لكن الفروسية الحقة هي أخلاق كريمة فالأمير حرص على أن لا يصدر منه أي فعل مشين أو تصرف يمس أخلاقه بل سعى جاهدة يبتغي المروءة"[2] فقد كان شاعرنا على خلق عظيم وشهد له العدو قبل الصديق فيقول:

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري فليس يريك الرسم صورتنا العظمى

فثمّ وراء الرسم شخص محجّب له همّة تعلو بأخمصها النجما

وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ولكنه بالعقل والخلق الاسمى[3]

القيمة التي تكمن في الأبيات عظيمة ولا يقدرها إلا الذكي الذي يدرك حقا أن الإنسان لا يسمى إنسان إلا بالعقل السليم والخلق النبيل أما المظهر الخارجي فهو ليس تلك المرآة العاكسة كما يضنها اغلب البشر فلا أهمية للمظهر بدون عقل وخلق كما أن سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الأجساد والمظاهر إنما ينظر إلى القلوب والأفعال تلك هي الصورة الحقيقية والتي لابد أن يوزن الفرد إلا بها و لو جمعت هذه الأخلاق وسلامة العقول مع الشكل الخارجي فهذه هي النعمة التي يرجوها الإنسان العاقل وما بعدها نعمة أما الصور والأشكال

---

[1]/ العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص52.

/عبد الرزاق بن السبع، مرجع سبق ذكره، ص77.

[3]/المرجع السابق، ص288.

فهي "حبر على ورق" وهكذا يجب تجاوز الملامح للنفاذ إلى الأعماق حتى نلمس حقيقة الذات الأصيلة والتي وراء هذا الرسم.

"وحين يعبر عن وطنه واصفا البادية كرد على السؤال وجهه إليه بعض أمراء فرنسا وهو" أهل الحضر أفضل أم البدو فكان جوابه بتفضيل البادية والحياة البدوية ورغد العيش فيها مرددا أبيات يفتخر فيها بجمال البادية"[1] فيقول:

ياعاذر الامرئ قد هام في الحضر	وعاذلا لمحب البدو والفقر
لا تذممن بيوتا خف محملها	وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني	لكن جهلت، وكم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقبا	بساط رمل به الحصباء كالدرر[2]

حفلت الأبيات بجمال الطبيعة البدوية وقد بدا لنا الأمير متحدثا عن رونقها وسحرها البديع فالبادية في نظر الأمير مكان جميل فهو يدافع عن طبيعتها الجذابة ولا يعرف جمالها إلا من ذاق حلاوة البادية والأمير ممن ذاقوا تلك الحلاوة فجمال الصحراء لا يشبهه جمال وقد استطاع الأمير تقديم البادية على طبق من ذهب فيصوّرها لنا في منظر رائع من هواء ونسيم لا أطيب منه ينعش الروح ويبعث الراحة والنشاط في النفس مبرزا سحر الرمال الذهبية وفي جهل هذا ضرر كبير وكيف لا والبادية مكان الخير والبركة على سكانها من هواء وسعة بال أهلها وهذا مالا نجده في المدينة فالبادية تعكس المدينة تماما.

---

[1]/زكريا صيام، الأمير عبد القادر الجزائري،ص

[2]/المرجع نفسه، ص172.

"ونلاحظ أن الشاعر موظفا البسيط وقد جاء من تقليده للقدماء الذين سلطوه للتعبير عن المعاني ذاتها مثل النابغة الذبياني والذي يقول:

عوّجو فحيّوا النعم دمنه الدار ماذا تحبون من نؤى وأحجار

وكذا المتنبي في هجائه لكافور وعتابه سيف الدولة في قصيدة "وأحرّ قلباه ممّن قلبه شبمٌ"[1] وميميته "ضيف ألمّ برأسي غير محتشم".[2]

ومن الذين استخدموا البسيط محمود سامي البارودي نذكر على سبيل المثال قصيدته التي يقول فيها :

يا حبذا جرعة ماء مخيّبة وضجيعة فوق الرمل بالقاع[3]

كما نلاحظ هيمنة الفعل على البيتين :

لا تذممن – لو كنت تعلم

كما استخدمه الشاعر للتعبير على حياة البدو وجمال عيشتهم في الترحال من مكان إلى مكان وقد ذكر الفعل ست مرات " تذممنّ، حفّ، تمدحنّ، تعلم، تعذرني، جهلت" يعبر عن الانفعالات العاطفية والخلجات الوجدانية.

ويواصل الأمير وصفه للبادية أبياته الجميلة التي تكشف لنا أن الشاعر لا يرى في البادية عيب ففيها صحة للأجسام أما الأسقام والعيب كله فهو مقصور على سكان المدينة فيقول:

ما في البداوة من عيب تذم به إلا المروءة والإحسان بالبدر

---

[1]/ابو طيب المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، دط، 1983م، ص331.

[2]/المرجع نفسه، ص36.

[3]/محمود سامي البارودي، الديوان، حققه، ضبطه، وشرحه، علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة بيروت، لبنان، دط، 1998، ص340.

وصحة الجسم فيها، غير خافية والعيب داء، مقصور على الحضر[1]

قد برهن الأمير موقفه بإقناع وقد وفق في برهنته على جمالها وكان ذالك ردا على منتقديها لا يشبهه رد فسلام على الشاعر وألف سلام.

"ومن هنا أرى أن ما في البداوة عيب تمثل صبغة جديدة لحرب دائمة بين الأنا والأخر يحاول فيها الفرنسيون ترسيخ الأفكار التي يعتقدونها حول الأمة الجزائري وتاريخها وعقيدتها وحضارتها"[2] .

والجدير بالذكر أن القصيدة الواحدة عند الأمير عبد القادر كثيرا ما تشتمل على أكثر من غرض واحد دون مشاركة بقية الأغراض الأخرى للشعر إلا قليلا" فهو مثلا حين يتغزل بمدينة **تلمسان** يفتخر باستعادتها من أيدي الفرنسيين وحين يتحدث عن طيف حبيبته زوجا أو جارية ويشف توسله إلى النبي وتعلقه به السبب والهيام بالحبيب"[3]

إلى الصّون مدت تلمسان يداها ولبّت، هذا حسن صوت نداها

وقد رفعت عنها الأزار، فلج به وبرد فؤادا من زلال نداها

ويا طالما، عانت نقاب جمالها عداة، وهم–بين الأنام–عداها[4]

كل ما نلحظه في هذه الأبيات غيرة الأمير على الوطن وشدة حبه له و إصراره على عدم الرضوخ للعدو وعدم التنازل منه فالأمير يستجيب لوطنه في أي ساعة من الزمن وهو مستعد لنجدته كما نلاحظ أيضا الرهبة التي اخذها من معاني الشعر القديم.

---

[1]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص179.

[2]/محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ص186.

[3]/ محمد نور، الانزياح الموسيقي في شعر الأمير عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص131.

[4]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص311.

*"لقد بدا لنا الأمير عبد القادر في شعر الحماسة والحرب مدافعا عن كرامة وطنه فهو يبث في نفوس المجاهدين العزم والكفاح وقد رسم لنا من خلال قصائده صورا لا تمحى من ذاكرة الأجيال فهو المناضل وهو البطل الشجاع والمقاتل الفذ الذي يفرق بين الادعاء والأصالة"[1].

فهو يقول:

وما كل شهم يدعي السّبق صادق إذا سيق للميدان بان له الخسره

وما كل سيف ذو الفقار بجدّه ولا كل كرار عليا إذا كرّوا

وما كل طير طار في الجو فاتكا وما كل صيّحا إذا صرصر الصقر

"هذه الأبيات تتشيّع في النفس ضلالا شعورية تنبئ بالقوة والحماسة لان الشاعر في مقام الفخر بل إن حسن اختيار الألفاظ ذات إيقاع قوي مثل "كروا، الصقر" كلها لها دلالات نفسية تلائم الغرض الشعري لان الموقف موقف قوة وعظمة[2] ذلك مما يوضح بان للأمير قدرة على حسن الاختيار والانسجام بين الألفاظ ، فالأمير يجعل للشهامة قوانين فالشهامة ليست كلمة تقال فحسب.

3/العلم والثقافة:

"لقد افرد الأمير في فخره حيزا لعلمه وثقافته اللذين اشتهر بهما فقد طلب العلم منذ أن شبّ على الطّوق وشدّ إليه الرحال وتحمل في سبيل تحصيله المشاق والأهوال فجمع بذلك بين رتبتي السيف والقلم إذ نشأ شاعرا، وصار حاكما عالما، عاش حياته بطلب العلم ويؤتيهما في السعة والسجن والمهجر فقد كان عالما دائما ومقاوما للعداوة".[3]

---

[1]/محمد بشير بويجرة، الامير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ص110.

[2]/محمد نور، الانزياح الموسيقي في شعر الأمير عبد القادر، ص116.

[3]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص86.

"وقد نشأ نشأة دينية وعلمية هامة في بيئة متعلمة ومحافظة، تلقى تعليمه باللغة العربية فنمت لديه المعارف اللغوية والفقهية".[1]

"كما اجتمعت في شخصيته خصائص وصفات فذّة ذاتية وثقافية وسياسية واجتماعية وعلمية فمنذ صغره كانت لديه الرغبة في امتلاك المعرفة والعلوم في الزاوية التي كان يشرف عليها والده واحتكاكه بكبار الشيوخ والعلماء".[2]

فأصبح يتبوأ مكانة دينية وعلمية هامة كانت بمثابة البوادر الأولى لبروز شخصيته، نظرا لتشبعه بثقافة رباط الطريقة القادرية"[3] "بعد ان سمع عن ذلك التصوف من والده الذي لاشك قد حُفر في ذاكرته"[4] والذي انتج علماء اشتهروا بالاستقامة والصلاح وعلو المكانة الشرعية والعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. [5]

يقول الأمير:

فحقق الأمر تفز بعلم عندي مدخور وتنجو،مثل من نجا، والذنب منك مغفور[6]

يرى الأمير أن المرء بالعلم يفز في الدنيا والآخرة، ففي العلم نجاة وبه تغفر الذنوب.

---

[1]/عبد الحميد شعاينة، الأمير عبد القادر المجاهد المثقف والسياسي الفارسي، مجلة أول نوفمبر، العدد165، 2001، ص27.

[2]/يحي بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، ص135.

[3]/عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004، ص18.

[4]/الاميرة بديعة حسني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، دار المعرفة، ط2، 2008، ص76.

[5]/المرجع نفسه، ص75.

[6]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص207.

"ويحدد لنا الأمير محمد باشا مصادر ثقافة الأمير عبد القادر أبيه قائلا عنه انه: اخذ الفقه عن والده (محي الدين) وعن غيره من العلماء ورحل إلى وهران واخذ عن علمائها".[1]

"ودرس كتب العلم والفلسفة وتعمق في دراسة الفقه والحديث والمعرفة وجغرافية الفلك والتاريخ واللغة والبلاغة والأصول وعلم الكلام وغيرها وألف بها آلاف المجلات والعديد من المخطوطات في شتى العلوم".[2]

فعبد القادر عرفناه فارسا مغوارا وشاعرا مجيدا ولكنه يلفت انتباهنا إلى أننا علمنا شيئا وغابت عنّا أشياء فراح يباهي ويفتخر على أعدائه بامتيازه عليهم برواية الحديث وعلمه بالفقه والنحو فيقول:

وبالله أضحى عزنا وجمالنا بتقوى وعلم والتزود للأخرى

وان شئت نحوا فانحنى تلق ماله غدا يذعن البصري بما روى[3]

يرى الأمير عبد القادر أن التوسع في العلم لا بد منه في محاربة الأعداء فكما أن السيف يقطع الرؤوس ويضرب الرقاب يكون أيضا التوسع في العلم والثقافة قاضيا على الجهل، فالشاعر يرى من العلم رمزا من رموز البطولة فبالعلم ترتقي العقول والنفوس وبالعلم تتخلص الأمم من بقايا الجاهلية وبالعلم يفوز المرء في الدنيا والآخرة.

---

[1]/محمد بناني ومحفوظ سماتي ومحمد صلاح الجون، مذكرات الأمير عبد القادر، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1998، ص49.

[2]/يحي بوعزيز، مايكل دو ايبائزا، الجديد في علاقات عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليانة، دار البعث، ط1، 1996، ص.

[3]/الديوان، ص163.

"فالأمير "المحارب" أخفى الأمير "العارف"و"العالم" والمدرس،حيث كان رجل علم وفكر عميق المعرفة في علوم الدين والدنيا، وله آراء في مختلف قضايا عصره الفكرية والمعرفية".

"أجل إلى هذا يعتز بنفسه ويجعلها منتهى بلوغ الأمل والشجاعة والأخلاق والعلم والنسب وجمع فخر الدين والدنيا".[1]

ويفتخر الأمير بنصيبه من العلم فيقول:

فان شئت تلقني خير عالم وفي الروع أخباري غدت تهون القوى[2]

نرى الأمير يعلو بصوت "الأنا" في هذا البيت ليجمع في فخره بين العلم في حال السلم وبين الشجاعة في الحرب وكأني به بنظر إلى شخص المتنبي الذي جمع بينهما في قوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

هكذا كان الأمير عبد القادر العالم والبطل الشهم، رجلاً من رجال الجزائر وحاميا منة حماتها ويخص الأمير بالذكر العلم الشرعي فهو مورده.

"إن الجود والعلم والصبر عند اشتداد البأس والتحدث بالنعمة للخالق كلها حالات استخرجت من ممارسات كان الأمير يتعاطاها في يومياته فهو لم يتحدث عن جود قرأ عنه، أو لقّن له ولم يذكر العلم كحيلة يزايد بها عن غيره بل هو العالم الحق الذي شهد له بذلك العدو قبل

[1]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص87.

[2]/الديوان، ص87.

الصديق، وهو الشكور على كل ما وقع له رغم انه كان يبغي وجه الله في مصلحة الوطن"[1].
فيقول:

الجود والعلم النفيس وإنني لانا الصبور لدى اشتداد البأس

وتحدثي:شكرا لنعمة خالقي إذا كان في ضمني جميع الناس[2]

لقد توسع الأمير في علم الحديث وفخر بأن كل من أتاه ليأخذ عنه الحديث عاد غني الزاد والى جانب الحديث يوجد الفقه الذي تحدث عنه في مجالسه وكما توجد العربية ومنها علوم النحو خاصة، فخير العلماء عنده هو العالم الذي له دراية وعلم في رواية الحديث في الفقه المتشبع بالعلوم العربية فيقول:

لنا سفن، بحر الحديث بها جرى وخاضت، فطاب الورد ممن بها ارتوى

وان رمت فقه الاصبحي، فعج على مجالسنا تشهد لواء العنا دوا[3]

"فقد مارس مقاومة ثقافية روحية وفكرية عكسها اهتمامه بالشكل الثقافي أثناء تنظيمه لدولته وكل ما يرتبط بذلك من تعليم ومكتسبات"[4] .

---

[1]/ محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ص191.

[2]/الديوان، 215.

[3]/المرجع نفسه، ص102.

[4]/مقدم رشيد، الروحي والثقافي في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مشكلات الحضارة، المجلد8، العدد1، جامعة الجلفة، 2019.

بحيث نجده في سجن امبواز يقوم في تلك المدة بتدريس العلم وإفادة الطلبة[1] "ونجده أيضا في مدينة بروسة التركية يحاضر في الجامع القريب من الدار المعروف بجامع العرب ويقرا فيه الدروس فقرانا عليه ألفية ابن مالك بشرح المكودي والسنوسيه".[2]

" ويصفه صديقه المقرّب الشيخ عبد الرزاق البيطار بأنه فارس ميدان اليراع والصفّاح وليث الخطية والأقلام الفلاح حتى أننا نجد الأمير عبد القادر وهو في قمة جهاده ومعاركه يختم قراءة صحيح البخاري أربع مرات".[3]

ويقول الأمير في العلم:

ولتعطنا من زكاة العلم، واجبه أنت المشيد دار العلم بانيها

أبقاك رب العلا، في نشر حكمتها رغما لأنف معاديها وشانيها[4]

"وهكذا كان الأمير عبد القادر فارسا وشاعرا كون اقتراب الفروسية من الشعر فكان شعره وسيلة تخليد البطولة ورفع درجة الحماس عند المجاهدين في ميدان القتال"[5]، وقد اعتمد في صياغة أشعاره على تجاربه وعلى شاعريته كونه ولد وترعرع في الريف وشرب من تقاليده

---

[1]/عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،تحقيق بهجة البيطار، ط1،دس، 1نج2، ص904.

[2]/ تحفة الزائر، ج1، ص17.

[3]/محمد بناني ومحفوظ سماتي ومحمد صالح الجون، مذكرات الأمير عبد القادر، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1998، ص49.

[4]/ الديوان، ص316.

[5]/عائشة بن ساعد، مرجع سبق ذكره، ص143.

وعاداته[1]، وكان يقضي وقته في القراءة أكثر من النوم وكان اهتمامه بالفكر والثقافة مثيل اهتمامه بالمعارك والسياسة فوضع بذلك مؤلفات جد هامة.

"فالأمير يمثل قيمة ثقافية إنسانية نادرة من بقايا القيم الإسلامية وتجربته في ميدان الثقافة لا تقل عن انجازاته في الميدانين العسكري والسياسي".[2]

فتكوينه و ثقافته التي تلقاها وهو صغير قد أثّرت ولعبت دورا واضحا في توجيه سلوكه وهو كبير وهي التي أطّرت حياته وبينت مواقفه كلها، وبالتالي" يبقى ميراث الأمير دائما في حاجة إلى إعادة القراءة والدراسة بشكل أعمق وأدق".[3]

[1]/محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ص167.

[2]/المرجع السابق، ص100.

[3]/مقدم رشيد، الروحي والثقافي في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة مشكلات الحضارة، المجلد8، العدد1، جامعة الجلفة، 2019.

الفصل الثاني:

البعد الوجداني الديني

1-حب الله:

يقول الأمير عبد القادر: في قصيدة "**أنا الحب والمحبوب جملة**"

عن الحب مالي كلما رمت سلوانا أرى حشو أحشائي من الشوق نيرانا؟

لواعج لو أنّ البحار جميعها صببن لكان الحر أضاف ما كانا

تئج إذا ما نجد هب نسيمها وتذكوا بأرواح تناوح ألوانا

فلو أن ماء الأرض طرّ شربته لما نالني ري ولازلت ضمآنا[1]

هذه الأبيات في الحب الإلهي وهو ما يعرف بالتصوف وهو عند الأمير عبد القادر"إن التصوف جهاد النفس في سبيل الله أي لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا لشيء أخر من غير سبيل الله".[2]

"تصور لنا هذه الأبيات ما يعترض سالك هذا لسبيل من آلام وأشواق، وما يكابده من عذاب وحرقة وتطلع للحبيب، والرجاء في الوصال باعتباره عنوان التصوف، وهو بذرة الأم التي نمت شجرته، وتهدّلت أغصانه وانبثق زهره، وأينع ثمره، وقد جعل الصوفية من هذا الحب فلسفة تحيط بكل شيء في الكون".[3]

حيث نرى في هذه الأبيات أن حب الله قد ملأ فؤاد شاعرنا،فهو لا يستطيع البعد عنه لأنه كلما ابتعد فانه يزداد شوقه وحنينه إليه، فلو جيء بمياه البحر كلها لبقي المحب العاشق لله

---

[1]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص116.[1]

/فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفاً وشاعراً، المؤسسة الوطنية للكتاب، بد ط، دس، [2]ص115.

[3]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص175.

ظمآن وبقيت نيران الشوق والحنين في أحشائه، "والحب الإلهي ليس في رأينا شطحا أو خيالا، وإنما هو ثمرة حقيقية للإيمان القوي والتدين العميق، وينعكس أثره على حياة الفرد تهذيبا وعلى حياة المجتمع ارتقاء".[1]

وقد عرف الحب الإلهي أيضا في شعر رابعة العدوية حيث تقول في قصيدة بعنوان: **احبك حبين**

احبك حبين، حب الهوى وحبا لانّ أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراك

فال الحمد في ذا وذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك[2]

وقد استطاعت رابعة أن تعبر عن حبها للمولى عز وجل والذي فاق الحدود وهكذا بقيت مثلا لمن جاءوا بعدها فهي شهيدة العشق الإلهي وكانت أول من تحدثت في شعرها عن حب الله بعيدا عن الطمع في الجنة أو الخوف من النار، وقد احتاجت في حبها هذا إلى آيتين الآتيتين: الأولى قوله تعالى:"**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**"[1]والثانية قوله

---

[1]/ابو الوفا العنيمي التفتا زاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1ينايير1979، ص217.

[2]/ابراهيم محمد منصور، الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، الأمين للنشر والتوزيع، د ط، 1945-1995، ص44.

[1]/القران الكريم، سورة آل عمران، آية 31.

تعالى:"**يأيها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**".[1]

ويقول الأمير عبد القادر أيضا في الحب الإلهي:

أسائل عن نفسي فاني ضللتها وكان جنوني مثل ما قيل: أفنانا

أسائل من لاقت عني والها ولا أتحاشاهم: رجالا وركبانا

أقول لهم: من ذا الذي هو جامعي ويأخذني عبدا مدى الدهر حلوانا

أسائل عن نجد وفيه مخيمي واطلب روض الرقتين ونعمانا [2]

معنى ذلك أن الأمير "تاه وهام في خضم هذا الحبيب حتى ضاعت نفسه، فأصبح يسائل عنها كل غاد ورائح،يتنسم أخبارها، يبحث عن ذاته الضائعة في هذا العالم الروحي الذي حلقت فيه نفسه بأجنحة الشوق، فلم تعد ترى منه إلا صورة المحبوب، ولا تبغي من الدنيا إلا الوصال"[3]، ومن اجل ذلك "يعمد إلى مقابضة من يجمعه بهذا المحبوب بنفسه، فيبيع له هذا الجسد الفاني يستعبده أبد الدهر، أما تلك الروح فلا سلطان عليها لغير الحبيب ولا جرم أنها تجارة رابحة ومكسب ثمين في نظر الشاعر"[1]، لأنّ الشاعر الأمير شديد التعلق بالمولى عز وجل فهو يسعى إلى نيل رضا الله وطاعته واجتناب نواهيه للفوز بالدنيا والآخرة ومحبة الله ورحمته وهذا ما يسعى العبد لنيله من مولاه.

---

[1]/القران الكريم، سورة المائدة، اية54.

[2]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص117.

[3]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص176.

[1]/المرجع نفسه، ص177.

وكذلك يقول عبد القادر في قصيدته:

فإن قلت يوما قد تدانت ديارنا لأسلو عنهم زادني القرب أشجانا

فما القرب لي شاف ولا البعد نافع وفي قربنا عشق دعاني هيمانا

وفي بعدنا شوق يقطع مهجتي كتقطيع بيت الشعر للنظم ميزانا

فيزداد شوقي كلّما زدت قربة ويزداد وجدي كلما زدت عرفانا

ويا كبدي ذوبي أسى وتحرقا ويا ناظري لازلت بالدمع غرقانا[1]

من خلال هذه الأبيات نرى أن شاعرنا يعاني من آلام الشوق والبعد والحنين للحبيب "فهو يتلهف للقائه ويتطلع له، وكلما تدانت المرابع بينه وبين المحبوب بغية السلوى، زاده القرب شجونا وحزنا، فأمره غريب محير"،[2] "فلا البعد كان له شافيا، ولا القرب كان له ناسيا، كتب عليه العذاب والحرمان، ففي بعده شوق تقطعت له مهجته، وفي قربه زيادة لهذا العذاب، يتطلع للحبيب ويتلهف للقائه، ينادي فؤاده المكلوم بآلام البعد واللقاء فقد عز الدواء واستفحل الداء، وتملكه الأسى، فامتلأت عيناه دمعا ولم يبق أمامه إلا الصبر"[1].

ويعجب الشاعر في نهاية قصيدته من هذا الحب والهيام إذ يقول:

منازل كانت لي مصيفا ومربعا غداة بها ادعى صبيا وشيبانا

ومن عجب ما همت إلا بمهجتي ولا عشقت نفسي سواها وما كانا

---

[1]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص116-117.

[2]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص176.

[1]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص176.

أنا الحب والمحبوب والحب جملة أنا العاشق المعشوق سراً وإعلانا [1]

والشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن الحنين والشوق إلى الأراضي المقدسة الطاهرة وهو المكان الذي ظهرت فيه الرسالة التي بينت لنا طريق النور والحق وأبعدتنا عن الظلام، كما أن الشاعر هنا يتحصر على تلك المنازل التي كانت فيها مصيفا له وبما أن الأمير صوفي المذهب فنجده دوما يشتاق ويحن لتلك الأماكن المقدسة، لأنها تذكره بمحبوبه الأول والأخير وهو المولى عز وجل " ويعجب الأمير في نهاية قصيدته من هذا الحب والهيام فالمتعارف عليه أن الإنسان يحب غيره، لكن الأمر هنا اختلف بالنسبة لشاعرنا، فما محبوب الا نفسه، لم يعشق سواها فهو الحب والمحبوب والحِبّ، وما العاشق والمعشوق سواه، وتلك نظرية الوجود التي آمن بها عبد القادر بكل تحفظ".[2]

وفي قصيدة أخرى يقول الشاعر:

هوى المحب لذي المحبوب حيث ثوى وكيفما راح هبت منه أرواح

أود طول الليالي إن خلوت بهم وقد أديرت أباريق وأقداح

اسكن فؤادي وطب نفسا وقر لقد بلغت ما رمت قر الناس أو ساحوا

واطلب إلهك ما ترجو فان له خزائنا مالها قفل ومفتاح[1]

---

[1]/الديوان، ص117.

[2]/عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص177.

[1]/العربي دحو، مرجع سبق ذكره، ص116.

يصف لنا الأمير عبد القادر درجة إخلاصه لحبيبه فقد أحبه حبا لا يشاركه احد فيه، وقد عانى من ويلات هذا الحب،"فعزاؤه انه بلغ المرام بالوصال فاطمأنت نفسه وسكن فؤاده وقرت عيناه برؤية طلعت الحبيب البهية"[1]

كما أن الأمير يتعجب اشد العجب من صبر المحبين واحتمالهم وحرصهم على المحبة الإلهية، فانكشف أمره وظهرت عليه علامات العشق الإلهي حيث يقول:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني صبر المحبين ما ناحوا ولا باحوا

أريد كتم الهوى حينا فيمنعني تهتكي كيف لا؟ والحب فضاح

لا شيء يثني عناني عن محبتهم ولا الصوارم في صدري و أرماح [2]

فالأمير في هذه الأبيات حاول أن يخفي حب وهوى المحبين الصابرين ويكتم ما في نفسهم من عشق وهوى، ولكنه لم يستطيع على ذلك فقد خانه الصبر وفضح أمره، فظهرت علامات العشق عليه وانكشف السر، وما ذاك إلا أن الحب فضاح.

والبيت الثالث يبين لنا إصرار و عزم الأمير على مواصلة مشوار حبه لخالقه فلن يرجع عنه أبدا، حتى ولو تعرض إلى الموت والهلاك فانه يبقى مصراً على عشقه.

/حياة كتاب، الشعر الصوفي الجزائري بين القديم والحديث، دفاتر محبر الشعرية الجزائرية، العدد الثالث، 2016[1]، ص77.

[2]/المرجع السابق، ص115.

إن الربط بين أحوال المشاهدة والمحبة ولقاء المحبوب"الله" تلك هي المعاني التي ردّدها الأمير عبد القادر في الديوان قاصدا بها الدنيا والآخرة يقول في أبيات تشير إلى الحب الإلهي في شبه مقامة له:

تجلى له المحبوب من حيث لا يرى فأعجب به، أراه من حيث لا أرى

وغيبتي به فغاب رقيبنا وزال حجاب البين وانحسم المرا

فصرت أراه كل حين ولحظة وقد كان غائبا وقد كان حاضرا[1]

إلى أن يقول:

وكم من شهيد مات بالشوق والفنا محب لذلك الحسن لو كان قدرا

وكم من شهيد للغرام مشاهد بعض الذي شاهدت مات فأقبرا[2]

"في هذه المعاني الفيضية تبلغ المحبة غايتها وهي المشاهدة ومن وراء ذلك يظهر الشاعر الصوفي محبا لمحبوبه ولا تخونه الكلمة ولا العبارة لأداء ذلك وقد قيل:إن كلام المرء أكثر أنواع نشاطه تعبيرا عن شخصيته"[1] و"شخصية الأمير يختلجها إيمان قوي يُتوجه خوف وورع

---

[1]/المرجع السابق، ص121.

[2]/المرجع نفسه، ص ن.

/حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، [1]دس، ص91.

فالدنيا إنما هي سلم للارتقاء إلى الآخرة وبلوغ مقام المشاهدة، وتلك علاقة أزلية جمعته بمحبوبه عندما كان الزمن لا بداية له ولا نهاية".[1]

2-حب الأنبياء:

يقول الأمير: في قصيدة "يا سيدي يا رسول الله"التي اتخذت من الرسول الكريم محورا لها دعاء وتوسلا ومدحا، لأنه يمثل السند والرجاء، والحصن والمدد والذخيرة عند الاحتياج والعدة عند الخطر فهو الشفيع الرؤوف.

يا سيدي يا رسول الله يا سندي ويا رجائي ويا حصني ويا مددي

ويا ذخيرة فقري وياعياذي يا غوثي ويا عدّتي للخطب والنكد

يا كهف ذلي ويا حامي الذمار ويا شفيعنا في غد أرجوك يا سندي[2]

ومعنى ذلك أن الأمير عبد القادر مقتدي بخصال رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فهو يعتبره سندا ورجاءا وشفيعا ومغيثا ومددا ويتوجه إليه بالدعاء والابتهال لينال رضاه، "والألفاظ(سيدي، سندي، رجائي، حصني، مددي، عياذي، غوثي، عدتي) تدل كلها على تجلي الصفات الإلهية في الحقيقة المحمدية فكل نبي لابد أن يغلب عليه تجلي اسم من

---

[1] /برادعي كريمة، قراءة في صوفيات الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في بنية النص الصوفي في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر، 2014، ص155.

[2] /العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص89.

أسماء الله إلا محمد صلى الله عليه وسلم فانه جمع الكل على غاية التمام والكمال والاعتدال فهو الإنسان الكامل"[1].

ويقول أيضا:

لا علم عندي ارجيه ولا عمل أمام نجواي من هدى ومن رشد

ابغي رضاك ولا شيء أقدمه سوى افتقاري وذلي واصفرار يدي

إن أنت راض فيا فخري ويا شرفي ماذا علي إذا واليت من احد؟[2]

ويقصد الأمير في هذه الأبيات انه ليس له شفيع غير المصطفى، لذلك يسعى لرضاه بالعمل الصالح، وإتباع سنته بتذلل وحب لعله ينال الخطوة فيكون مع الذين رضي اله عنهم وذلك هو الفوز العظيم، وهذا دلالة على ما يحظى به الرسول صلى الله عليه وسلم من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة عند الشاعر.

ويقول في قصيدة بعنوان :"متى ينقلب نحسي" إلى صاحبه ابن رويلة:

أخي، نلت الذي قد كنت تطلبه وفزت دوني بما ترجو وترغبه

وساعدتك الليالي لا شقيت فدم قرير عين بوصل ليس تسلبه

قد طاب في طيبة الغرا مقامكم جوار محبوبنا من كنت ترقبه

يا هل ترى مثلما فزتم أفوز وهل تعلو سعودي على نحسي فتقلبه؟[1]

---

[1]/المرجع السابق، 155.

[2]/الديوان، ص89.

حيث يرى الشاعر في هذه الأبيات أن زيارة قبر الرسول ورؤيته فوز يشتاق ويتنافس إليه كل مؤمن مسلم، لذلك نجده دائما يتساءل عن الموعد المبارك الذي تتحقق فيه أمنيته وأمله وهو رؤية الحبيب المصطفى والوقوف بين يديه في رحاب روضته المشرفة، وهي نعمة من نعم الله الكبرى يمن بها على عباده، فلا ينالها إلا السعيد المحظوظ ولا يحرم منها إلا الشقي التعيس.

كما نجد الأمير عبد القادر كثير التوسل بالرسول، ونادرا ما يختم قصائده بغير ذلك:

بجاه ختام المرسلين محمد أجل نبي كل مكرمة حوى

عليه صلاة الله ثم سلامه وال، وصحب ما سرى الركب للوى[2]

"واختم بقصيدته التي يعبر فيها عن ولائه وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحسبه شرفا أنه من شجرة النبوة الطاهرة، وكفاه فخرا أنه مؤمن بربه صادق في حبه، مخلص في ولائه لربه ونبيه، يرجو الأجر والثواب من الكريم الوهاب، ويرغب الأجر في دار المعاد"،[3] يقول:

أبونا رسول الله خير الورى طرا فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

ولانا غدا دينا وفرضا محتما على كل ذي لب، به يؤمن الغدر

وحسبي بهذا الفخر من كل منصب وعن رتبة تسمو، وبيضاء أو اصفرا

---

[1]/الديوان، ص69.

[2]/المرجع نفسه، ص54.

/سامية بوعجاجة،(البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد [3]30-31، جامعة بسكرة، ماي 2013، ص358.

وبالله أضحى عزنا وجمالنا بتقوى وعلم والتزود للأخرى[1]

فكثيرا ما مدح المتصوفة النبي، وذكروا صفاته ومناقبه، وشوقهم إلى النظر في وجهه الكريم، والحاجة إلى علمه الواسع الثري.

فنجد الأمير عبد القادر يعتز ويفتخر بأصله المنحدر من الأسرة النبوية الشريفة، وقد أراد الأمير بالأبيض والأسود في قصيدته بالذهب والفضة، كما نجد اقتباسا في البيت الرابع من القران الكريم وهو في قوله تعالى:"**وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى**".[2]

" فالأمير هنا يقدم نفسه على انه رجل مسلم ينتمي إلى نسب شريف ينتهي إلى خير الورى، فأبوه رسول الله، أفضل خلق الله دينا وسيرة، فانعم بها صلا ونسبا".[3]

3-الصحابة الكرام:

يقول الأمير عبد القادر:

وجهت وجهي أنلني ما دعوت به بأهل بدر حماة الدين أركانا

أعني: الآل صرح الحفاظ ذكرهم باسمهم تاركا من خلفهم بانا

بقطبهم احمد المختار من مضر وسيد الخلق أملاكا وإنسانا[4]

---

[1]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص45.

[2]/ القران الكريم، سورة البقرة، آية 197.

[3]/عبد القادر الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط3، 1965، ص32.

[4]/الديوان، ص93.

نرى في هذه البيات أن الأمير يتوسل أيضا بالصحابة الكرام الذين وصفهم المولى عز وجل" **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا**".[1]

فالأمير لا يقتصر في توسلاته على الرسول صلى الله عليه وسلم وحده بل نراه يتوسل أيضا بالصحابة الكرام، فيذكر في إحدى قصائده أهل بدر وما قدموه من صدق الجهاد وحسن البلاء وقوة الإيمان.

ويقول أيضا في قصيدته مسترسلا في ذكر أسماء الصحابة الواحد تلو الآخر:

كذا خليفته الصديق ملجأنا وأعظم الناس إيمانا وإيقانا

وبالمكنى أبي حفص الذي افتتحت به مغالق حتى صعبها دانا

وبالخليفة ذي النورين ثالثهم أعنى بذلك: عثمان بن عفانا

وبالإمام أخي المختار ذاك علي من في الوغى بالعدا تلفيه فرحانا

وبابن عثمان عبد الله سيدنا وابن الكبير إياس ساد إعلانا

وحاطب وبلال ثم حمزة ذا عم النبي الكريم ساد قحطانا

لني توسلت يارب الأنام بهم أرجوك فضلا غفرانا وإحسانا

ثم الصلاة على المختار سيدنا ما صارت الشيب يوم الحرب شبانا.[2]

---

[1]/القرآن الكريم، سورة الفتح، آية 29.

[2]/ العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص94.

فنراه يستدعي أسماء الصحابة من أهل بدر، فكل واحد منهم له صدق الجهاد، وقوة الإيمان دون أن ينسى كعادته استحضار الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه البدر والآل والأصحاب هم الكواكب.

4-وحدة الوجود:

"وهو المعروف في اللغات الأوروبية بpanthéisme ووحدة الوجود هو تصوف مبني على القول بأن ثمة وجودا واحدا فقط هو وجود الله" [1]وهذا يعني أن " لا موجود إلا الله".[2]

وتعني عند الأمير عبد القادر العينية، ويقول عنها موضحا:" فالعين وما تقع عليه والأذن وما تسمعه، واللسان وما يصوت به، والجوارح وما تلمسه، والعقل وما يتعلقه، والخيل والمتخيل، والمتصور والصور، والحافظ والحفظ، والمحفوظ فما هي إلا أغراض ونسب وإضافات في عين واحدة وهي الواحدة والكثيرة وعليها تطلق الأسماء كلها، والعين هي عين الله والله تعالى هو عين كل شيء في الأرض والسماء".[3]

يقول الأمير عبد القادر موضحا العين الواحدة في قصيدته "وحدة الوجود"

أنا حق، أنا خلق أنا رب، أنا عبد

أنا عرش، أنا فرس وجحيم، أنا خلد

---

[1]/ابراهيم محمد منصور، الشعر والتصوف، دار الأمين للنشر والتوزيع، دط، سبتمبر 1697، ص37.

[2]/زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2012، ص178.

[3]/ عبد القادر الجزائري، المواقف الروحية والفيوضاتالسبوحية، ص132-133.

أنا ماء، أنا نار وهواء، أنا صلد

أنا كم، أنا كيف أنا وجد، أنا قصد

أنا ذات، أنا وصف أنا قرب، أنا بعد

كل كوني ذاك كوني أنا وحدي، أنا فرد.[1]

"ما يفهم من القراءة الأولى أن الشاعر جمع بين المتنافين في ضمير واحد وهو "أنا" والأنا في هذه القصيدة تعبير عن عين واحدة هي عين النور وعين الظلمة وعين كل متنافين من أنواع المنافاة(...) أي فنور وظلمة عينه أي عين العين الواحدة".[2]

كما يفهم أيضا من هذه القصيدة "أن الشاعر عبر عن صلته بالكون والكائنات، ووصف علاقته بالأشياء التي تربطه بها ألفة عجيبة، كما بثت القصيدة الحياة في الجمادات وفي المعنويات، وأصبح كل شيء حيا وله روح ورابطة قرابة مع الشاعر"[3] ، يقول الشاعر أيضا:

تعددت الألقاب والعين واحدة فما ثم إلا الله لا عين للغير

فشيئان لفظا نحن والعين واحدة فأنت هو الأنا والهو أنت فادّكر

يجيب إذا دعوت فهو الذي دعا كرجع الصدأ الثاني في الحس والأثر.[4]

---

[1]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص118.

[2]/المواقف، مج3، الموقف 358، ص71.

[3]/المرجع نفسه، ن ص.

[4]/المرجع السابق، ص124.

"ومن هنا فإن عقيدة وحدة الوجود عند الأمير عبد القادر الجزائري تقر بمبدأ ترابط الكائنات ببعضها البعض، وتماهيها جميعا في مصدر كينونتها الأول، أو ما يصطلح عليه باللغة العرفانية،" العلة الأولى" وهو الخالق البارئ فهي فلسفة صدرت عن منزع فياض من الحب الكوني

نظرت به إلى الوجود، إذ هي أحبت الخالق، فأكبرت المخلوقية وعظمتها وأسبغت عليها حبها

إجلالا للربوبية".[1]

ويقول الأمير أيضا في قصيدة بعنوان الباطن والظاهر:

اردد طرفي في الرسوم، فلا أرى سوى، من به كانت: رسوما وآثارا

واسألها عنه، فكل أجانبي بأنه ما رآه يوما، ولا أرى

فقلت لهم:هذا عجيب فإنني ما أبصرته إلا بكم متظاهرا

عرفته منكم، ثم زاد في عرفاننا بأنّني إياه، ولكن منكرا

عجبت له، كيف اختفى بظهوره فعني حجابه الظهور، وانفرا

ألا فاعجبوا، من ظاهر في بطونه ومن باطن، لا زال باد وظاهراً.[2]

---

[1] /عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر،(مسجلات في قضايا اللغة والمعرفة والفقه والخطاب القرآني) دار القدس العربي، ط1، 2011، ص212.

[2] /العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص118.

إن هذه القصيدة التي تصور" الشاعر في شطحاته الصوفية وغيبوبته من الوجود إلى اللاوجود"،[1] "هي نص يناجي بالخالق وبتجلياته التي تتماهى في صور مخلوقاته من الإنس والنبات والجماد، وانه يعجب من اللذين لا يهتدون إليه ولا يرونه، فصورته متجلية في كل الموجودات، وكل ملمح من ملامح هذا الكون هو وجه الله، ويرى فيها بصمة أسمائه الحسنى، فكل ظاهر فهو الحق تعالى من اسمه الظاهر بحكم قوله تعالى:"**هو الأول والأخر والظاهر والباطن**..."و ولا يخرج عن هذه المراتب الأربعة، فلا أول إلا هو، ولا آخر إلا هو، ولا باطنه إلا هو".[2]

ومعنى ذلك أن الأمير حائر في الذين لا يهتدون إلى خالقهم رغم أنهم يرون تجلياته في جميع الأشياء من نبات وحيوان وجماد وإنسان فهو الأول والآخر والظاهر والباطن سبحانه وتعالى بديع السموات والأرض.

يقول الشاعر على لسان بارئه:

فلا كائن غلا أنا به ظاهر ولا كائن يكون لي أبدا قيداً

ولا باطن إلا أنا ذاك باطن ولا ظاهر غيري فلا اقبل الجحدا

فقل عالم وقل الله وقل أنا وقل أنت وهو لست تخشى به ردا

---

[1]/محمود سامي البارودي، الديوان حققه وضبطه وشرحه: علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، دط، 1998، ص226.

[2]/المواقف، مج1، الموقف15، ص17.

تعددت الأسماء واني لواحد ألا فاعبدوا في مطلقا نزها فردا.[1]

من خلال هذه الأبيات "تتضح رؤية الأمير إلى مرتبة الألوهية، التي تظهر في كل الموجودات، وهذا لا يعني أنها تتقيد بصفات من تتجلى فيه فهي في حال تعيينها وتقييدها بالمظاهر مطلقة فتقييدها عين إطلاقها"[2]، "ثم إن مرتبة الألوهية لا يهتدي إليها إلا العارف الذي سلك كل المقامات وتذوق كل الأحوال وزال عنه الغطاء وحصل له الفتح، فانه يرى الأشياء بغير ما يراها غيره"[3].

ويقول الأمير أيضا:

فما دمت غيرنا فأنت شريكنا وهل ثم غير يا بليد به هوس

وما دمت موجودا فشركك ظاهر فإن لم تكن فربّما رحل النحس

ففارق وجود النفس تظفر بالمنى وزايل ضلال العقل إذ أنه الحبس

وما هو إلا أن تصير إلى الفنا وتصعق ليس ثم روح ولا حس.[4]

في هذه الأبيات "تتجلى بوضوح رؤية الأمير عبد القادر إلى حقيقة النفس، فهي منعدمة وان ادعت الوجود فهي مشركة، وبمفارقتها يظفر السالك بالمنى، وينجح في سيرته، ويصل إلى مرماه، ويتحقق له المحو والفناء، ويدرك:أن في الوجود معشوقة غير مرموقة، الأهوية إليها

---

[1]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص120.

[2]/المواقف، مج1، الموقف 35، ص25.

[3]/المرجع نفسه، ص ن.

[4]/المرجع السابق، ص112.

جانحة، والقلوب بها طافحة، والأبصار إلى رؤيتها طامحة، يطير الناس إليها كل مطار، ويرتكبون الأخطار ولا يصل إليها إلا الواحد بعد الواحد فيحصل انقلاب عينه إلى عين هذه المعشوقة وبعد التعب والفنا ومعاناة الضنا، وجدت هذه المعشوقة أنا، وتبين أي الطالب والمطلوب، والعاشق والمعشوق"[1].

"وتتجلى مظاهر التأثر بكتاب الله في شعر الأمير، باقتباس تارة والمعنى تارة ثانية، والأسلوب تارة ثالثة وهذا يعني الحضور الدائم مع الله في جميع الأحوال والتصرفات وهو ما يترجمه قوله في الأبيات التالية"[2]:

يا صاح، إنك لو حضرت سماءنا وقت انشقاقها حين لا تتماسك

وشهدت أرضا زلزلت زلزالها ألقت ما فيها، والجبال دكا دك

ونظرت أرضا بدلت، وسماءنا وبرزخنا حللنا، وكل هالك

وشهدت صعقتنا والإله قائل: الملك لي اليوم، مالي مشارك

لشهدت شيئا لا يطاق شهوده وسمعت مالا يدرك دارك.[3]

"الاقتباس في هذه الأبيات كان سيد الموقف، فالمادة القرآنية أساس قامت عليه بنية هذه الأبيات، إذ اقتبس الشاعر انشقاق السماء من قوله الله:"**إذا السماء انشقت**"، وزلزلة الأرض من قوله تعالى:"**إذا زلزلت الأرض زلزالها**"، وإلقاء ما فيها من قوله تعالى: "**وألقت ما فيها**

---

[1]/المواقف، مج1، الموقف 35، ص40.

[2]/العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص129.

[3]/المرجع نفسه، ن ص.

وتخلت"، والدك من قوله تعالى:"**كلا إذا دكت الأرض دكا دكا**"، وهلاك الكل من قوله جلا وعلا:" **كل من عليهافان**"، وملكية يوم القيامة من قوله عز وجل:" **لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار**"[1].

فالأمير هنا يصف لنا حياة الدنيا حين تقوم الساعة كما انه يجسد لنا مشاهد يوم القيامة "يهيئ السامع بألفاظ وتعابير تستدعي حضوره الجسدي والعقلي والنفسي معا، فيقول:(يا صاح، حضرت، شهدت، نظرت، لشهدت، شهوده، سمعت، يدرك دارك).

مضاف إلى ذلك كله انبعاث موسيقي التي تقرع الآذان من خلال قوله: زلزلت زلزالها، الجبال دكا دك، برزخنا، صعقتنا، أظنه يتحسس جوا يأخذ بذهنه وأحاسيسه إلى عالم آخر لا يحيط به، فيؤدي به إلى تسليم أمره إلى الخالق هو أدرى بشؤون خلقه وهو المهيمن عليهم"[2].

[1]/الديوان، ص129.

[2]/زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ص73.


خـــــاتمــة

من خلال دراستنا لموضوع "البعد الوجداني في ديوان الأمير عبد القادر" وبالاعتماد على المصادر والمراجع التي توصلنا إليها خلصنا لمجموعة من الاستنتاجات نذكر من أهمها مايلي:

*الشعر أول فرع أدبي ازدهر في اللغة كونه لغة الوجدان والأحاسيس الفطرية.

*تمتع الأمير عبد القادر بن محي الدين بنسب شريف وبصفات خلقية وخلقية جعلته يتميز عن غيره بمقومات إنسانية.

*نشأ الأمير في عائلة علم وورع وتقوى وانتمائه إلى الزاوية القادرية، وقد كان والده رجل دين وفقه هذا ما جعله ذو عبقرية وخبرة في المجالين الأدبي والعسكري والديني فقد جمع بين المرأة والفقه والجهاد والشعر والصوفية في سلك واحد وكان ذلك الفارس العاشق لنفسه فقال :

ومن عجب تهاب الأسد من بطشي ويمنعني غزال عن مرادي

*تطرق الأمير عبد القادر في شعره إلى موضوع الغزل فقد وصف زوجته أم البنين وتحدث عن نار الشوق والحنين إليها، حيث انه لم يرى في ذلك عيبا أخلاقيا.

*شعر الأمير الصوفي بما يمتاز من خصائص مختلفة جزء من الإرث الثقافي الجزائري، حيث يظل في لغته الصوفية اقرب إلى الفطرة التي خلق عليها الإنسان .

*شغل كل من العلم والثقافة والفخر حيزا كبيرا في شعر الأمير عبد القادر فنجده يفتخر بالشجاعة والكرم والنجدة ومساعدة المحتاج ونصرة الجند وكذلك أصله ونسبه الطيب المنحدر من سلالة أفضل خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم.

*ورغبة في تثمين العطاء الصوفي الأميري والوقوف في الوجه الناصع لتجربته الصوفية، فقد تقفينا أشعاره هنا من ديوانه والتي عبر فيها عن المحبة الإلهية ومحبة الأنبياء والصحابة الكرام وكذلك وحدة الوجود.

*شخصية الأمير الشاعر الصوفي بثرائها قد ملأت الدنيا وشغلت الكثير من الباحثين ومازالت... لان فكره فاق كل الحدود .

-تلكم هي أهم ما تمخضت عنه هذه الدراسة حيث نأمل بأن نكون قد وفقنا إلى حد ما في دراسة البعد الوجداني في شعر الأمير عسى بذلك أن يكون هذا البحث جديرا بأن يضيف لبنة جديدة، وان يضاف إلى تلك الدراسات القليلة التي تناولت شعر الأمير عبد القادر الجزائري.

المصادر و المراجع

-القرآن الكريم

-الحديث الشريف

-عمر دقاق، محمد نجيب التلاوي، تطور الشعر الحديث والمعاصر، دار الاوزاعي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

-محمد شرفي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري من سنة 1925الى 1954.

-صالح خرفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985.

-عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، الناشر مكتبة الشباب، دط، 1977.

-العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، جمع-تحقيق-شرح وتقديم، ط3، 1807-1883.

-فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دس.

-عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، دط، 2000.

-إبراهيم محمد منصور، الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، الأمين للنشر والتوزيع، دط، 1945-1995.

-أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1979.

-حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دس.

-عبد القادر الجزائري: الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط3، 1965.

-عبد القادر الجزائري، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، مج1، موفم للنشر، دط، 1996.

-زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2012.

-عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر"مسجلات في قضايا اللغة والمعرفة والفقه والخطاب القرآني، دار القدس العربي، ط1،2011.

-محمود سامي البارودي، الديوان حققه وضبطه وشرحه: علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، لبنان، 1998.

-زكريا صيام، الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر.

-شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة ، الجزائر، طبعة خاصة، 2009.

-عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ش، ت،د، العربي دحو، ممدوح حقي، دار اليقظة العربية بيروت، ط3، 1965.

-محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،ج2.

-المجلات.

-حياة كتاب، الشعر الصوفي بين القديم والحديث، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد الثالث، اكتوبر2016.

-سامية بوعجاجة، البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد31/30، ماي 2013.

-مجلة رجيم، .rejeem.com، 9-3-20:15،2002.

-مجلة الهلال، القاهرة، 1899، مج7، نقلا عن فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، وزارة الثقافة الجزائرية 2007.

-رابح بونار، الأمير عبد القادر وحياته وأدبه، مجلة آمال، عدد خاص عن الأمير عبد القادر،الجزائر، جويلية، 1970.

-مقدم رشيد، الروحي والثقافي في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة مشكلات الحضارة، مج8، العدد1، جامعة الجلفة، 2019.

-عبد الحميد شعابنة، الأمير عبد القادر المجاهد المثقف والسياسي الفارس، مجلة أول نوفمبر، العدد16،2001.

محمد سيف الإسلام، التجربة الشعرية عند الأمير عبد القادر،العدد31، 2010.

-الرسائل الجامعية:

-برادعي كريمة، قراءة في صوفيات الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في بنية النص الصوفي في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر.

-جمال علي زكي بسيوني، الاتجاه الوجداني في شعر مهيار الديلمي، رسالة دكتوراه، كلية الأدب، جامعة الزقازيق،2008.

-عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة المدية، 2004.

المواقع الالكترونية:

-وكيبيديا wikipidia.com

-www.adab islami.org.

فهرس الموضوعات

-البسملة.

-التشكرات.

-الإهداء.

-مقدمة:.....أ

-مدخل:

-مفهوم الاتجاه الوجداني:.....1

-خصائص ومميزات الشعر الوجداني:.....2

-ترجمة الشاعر:.....3

الفصل الأول:البعد الوجداني.

-الغزل.....5

-الفخر:.....6

-العلم والثقافة:.....7

الفصل الثاني:البعد الوجداني الديني.

-حب اللــه:.....9

-حب الأنبياء والصحابة الكرام:.....10

-وحدة الوجود:.....11

خاتمة:.....12

-قائمة المصادر والمراجع:.....13